جمعية شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم الخيرية الإسلامية بطنطا

لجنة إحياء التراث

القصص الحق



لسيد الخلق
صلى الله علية وسلم

(السلسة الأولى)

خمسون قصة بأسلوب النبى صلى الله عليه وسلم

جمعها وشرحها شاعر النبى صلى الله علية وسلم

محمد خليل الخطيب

من علماء الأزهر الشريف

أشرف على طبعه
محمود محمد خليل الخطيب

شيخ الطريقة الخطيبية
الشاذلية بجمهورية مصر العربية

جمعية شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم الخيريه الإسلاميه بطنطا

لجنة إحياء التراث

القصص الحق



لسيد الخلق

صلى الله عليه وسلم

(السلسلة الأولى)

خمسون قصة بأسلوب النبى صلى الله عليه وسلم

جمعها و شرحها شاعر النبى صلى الله عليه وسلم

محمد خليل الخطيب

من علماء الأزهر الشريف

شيخ الطريقة الخطيبية

الشاذلية بجمهورية مصر العربية

أشرف على طبعه

محمود محمد خليل الخطيب

محمد خليل الخطيب النيدي

الطبعة الثانية ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

القصة الصادقة . و العظة البالغة . و البلاغة المعجزة

الخمسون النيدية

فى القصص المحمدية

جمعها وشرحها شاعر النبى صلى الله عليه وسلم

محمد خليل الخطيب

من علماء الأزهر الشريف

****

رسول اللّه شاعرُك الخطيبُ .'. له فى جاهك الأمل الرحيبُ

ولن يشقى وأنت له حبيبُ .'. وفيك له من الشعر اليتيمُ

إليكَ أُهْدِى أجَلَّ الرُّسْلِ قاطِبَةً .'. خمسينَ نِيدِيَّةً نُصْحاً لِأُمَّتِكَا

غَرَّاءَ مشْرِقَةً ، سَرَّاءَ ذاكِرَةً .'. سَبِيلَ مَنْ فاز فى الدَّارَيْنِ أوْ هَلَكَا

مِنكمْ إِليكمْ ، وأرْجو أن تَقبَلَها .'. مِن شاعرِ الحضْرَةِ الغراءِ حَضْرَتِكا

وشِعرهُ ماتعدَّاكُمْ و عِتْرَتَكُمْ .'. فَاشْفَعْ له ولِمَنْ يهواه أوْ تَرَكَا

(الخطيب)

****

جزى الله عنا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ماهو أهله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل القصص عبرة المعتبرين ، وفكاهة المتفكهين وسلوة المحزونين ، والصلاةُ و السلامُ على أصدق القاصّين ، وسيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم الى يوم الدين وبعد فيقول المتوسل الى ربه بالحبيب ، وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم محمد بن الشيخ خليل بن الشيخ محمد الخطيب النيدى : لما عزمت على جمع الخطب النبوية وقرأت مظانها من الكتب الحديثية و التاريخية و الأدبية عثرت على كثير من القصص التى قصها عليه الصلاة و السلام عن الأنبياء الماضين و الملوك المتقدمين و الأولياء و الصالحين و الأشرار و الطالحين لتسلك أمته الكريمة مسالك الأبرار وتبتعد عن سبل الفجار فتأمن خزى الدنيا ، وعذاب النار ولتعلم أنها عوفيت مما ابتلى الله به الأنبياء و المرسلين و الأخيار السالفين ولم ينزل بها بأسه الذى أنزله على عتاة السابقين فتحمده إذ أسبغ عليها نعمه الظاهرة بتخفيف الشرائع و الباطنة بتضعيف الصنائع قال تعالى (وماجعل عليكم فى الدين من حرج وقال سبحانه (يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العُسر) فحق شكرهُ بطاعته على الدوام إنه ذو الجلال والإكرام ولترغب فى الذكر الحسن بعد الوفاة فتدوم له الحياة فليس من الفانين من له لسان صدق فى الآخرين وكم فى هذه القصص من عبرة للمؤمنين وهدى وموعظة للمتقين وهذه خمسون منها سميتها-الخمسون النيدية فى القصص المحمدية بينت غريبها وشرحت تراكيبها واستنبطت منها الكثير من الحكم و الأحكام

و قربتها غاية التقريب من الأحلام و ذكرت مراجعها ليطمن القراء الكرام . و الله يجعلها ذريعة لتقريبه . وصلة بيني و بين حبيبه صلى الله عليه و سلم و محببة في قراءة ما خلف رسوله صلى الله عليه وسلم من آثار نافعة للصغار و الكبار ، إنه على كل شئ قدير ، و نعم المولي و نعم النصير .

ترجمة الشيخ (محمد خليل الخطيب)

كانت ولادة الشيخ غفر الله له فى قرية من صعيد مصر تسمى (نيدة) إحدى قرى مركز (أخميم) التابع لمحافظة سوهاج وكان ذلك فى اليوم التاسع فى شهر مارس سنة ألف وتسعمائة وتسع الميلاد وينتهى نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنعم الله عليه بحفظ القرآن الكريم فى طفولته ، والتحق بمعهد أسيوط وحصل على شهادة الابتدائية سنة ١٩٢٤ م ثم حصل على الثانوية الأزهرية سنة ١٩٢٨ م ، وشهادة العالمية سنة ١٩٣٣ م وشهادة التخصص (الدكتوراه الحالية) فى اللغة العربية سنة ١٩٣٦ م .

مؤلفاته :

لقد أثرى رضى الله عنه المكتبة الإسلامية بمؤلفاته المتنوعة ، فلقد صنف فى الفقه والحديث واللغة والشعر والقصص والتفسير والتراجم ولعل ما ساعده على ذلك ملكته المتقدة وذوقه المرهف وصبره الجميل ، فكان مثالا للعالم والأديب ، والباحث المتئد والمنقب الصبور فهل أتاك نبأ كتابه الفريد : (اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام) الذى زين المكتبة الإسلامية بما حواه من خطب رسول الله كاملة ومرتبة ومصححة وأعده الشيخ الإمام فى مدة خمسة عشر عاما وهل وصل إلى مسامعك خبر كتابة القيم : (غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب) الذى أعده الشيخ فى عدة سنوات غاص خلالها فى بطون أمهات كتب الأدب وغيرها من كتب العرب بحثا عن شعر أبى طالب حتى جمع شتاته ورتب أبياته ، ووضح غامضه ، وبين مشكله ساعده على ذلك ثقافته الواسعة ، وزاده الكثير من مفردات اللغة ، ولا عجب فهو شاعر كبير ، له فى الشعر باع وأى باع ، ولو اطلعت على ديوان شعره (سيطبع قريبا إن شاء الله) لتملكك العجب إذ إن الشيخ الإمام مع أنه أوقف

- ب -

شعره على الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنه كان يعرض كثيرا من القضايا التى تتصل بالإسلام من قريب أو بعيد بطريقة تخاطب عقلك ولا تعارض وجدانك ، ويرد على كل تساؤل فى نفسك فلا يسعك إلا التسليم بما قال ، إذ ليس ما قاله إلا عين ما جاء به الشرع الحنيف فكلامه كله لا يخرج عن آية أو حديث أو ما تواتر عن الأئمة الأعلام . أضف إلى ذلك أن لكتاباته مشربا خاصا وطريقة لم يحد عنها أبدا فما وافق الشرع كان الشيخ الإمام ناقلا له موضحا إياه وما خالف الشريعة ضرب به الشيخ عرض الحائط ونفر منه فهو لسان حق يدعو إلى الله على بصيرة وإن تعجب فعجب أمر تمكن الشيخ الإمام فى اللغة إذ تمكن منها أيما تمكن وآية ذلك (الفية الخطيب فى فن الصرف) التى نظمها ثم شرحها شرحا وافيا لا يدرك قيمته إلا أئمة اللغة العربية وفرسانها .

وإن أنس لا أنسى كتابه القيم : (القصص الحق لسيد الخلق) الذى جمع فيه القصص النبوى الكريم ثم شرحه فى عدة أجزاء وعلق عليها تعليقا علميا بارعا ، وهذا كله يؤكد مواهبه المتعددة التى تجسدت فى شخص واحد هو شخصه الكريم رضى الله عنه ، ومهما يكن من شىء فإن هذه المصنفات ما هى إلا فيض من غيض وقليل من كثير إذ لمولانا الشيخ الإمام من الكتب القيمة ما يماثل سنوات عمره المبارك .

الشيخ والتصوف :

ولفضيلته مدرسة كبرى فى التصوف أعادت لنا الصورة المضيئة النقية لما كان عليها المسلمون الأوائل ، أركانها العلم والذكر والقدوة الحسنة ويسير عليها الآلاف من تلامذته المخلصين ومازالوا ينقلونها إلى كل مكان .

كان غفر الله لنا وله مقتفيا آثار النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام

لايخرج عما كانوا عليه وقصده إحياء سنته واقامة طريقته وتوضيح منهجه ، الله غايته ووجهته ، والقرآن الكريم والسنة النبوية زاده وعدته ، ومحبته للنبى صلى الله عليه وسلم هى روحه وسر قوته .

ومن أراد المزيد من المعرفة عن روائع الشيخ الخطيب غفر الله له فعليه قراءة كتاب نفحة القبول فى سيرة شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم فهى صفحات مباركات علها تفى بما يريد القارىء معرفته فى مختلف جوانب حياته المباركة الروحية منها والأدبية والعلمية .

استمر الشيخ الإمام فى نشر تعاليم الإسلام بين الناس بالقول والعمل والعطاء حتى لقى ربه عن سبعة وسبعين عاما عشية مغرب يوم الجمعة الموافق الحادى والعشرين فى فبراير سنة ١٩٨٦ م وكان مثواه المبارك بمسجده العامر بمدينة طنطا حيث أسس طريقته وكانت إقامته الكريمة الحافلة بكل أوجه الخير غفر الله لشيخنا الجليل وجزاه عنا خير الجزاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمود محمد الخطيب

شيخ الطريقة الخطيبية الشاذلية

بجمهورية مصر العربية

من مؤلفات الشيخ الإمام محمد خليل الخطيب

* إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام ٥٧٢ خطبة مشروحة منسقة حل بها مشاكل الدنيا والآخرة .
* غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب أول كتاب يجمع شعره مشروحا مستفيضا لائقا بمكانته .
* الفية الخطيب وشرحها أجمع كتاب فى فن الصرف .
* القصص الحق لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم بأسلوب النبى مشروحة شرحا جامعا .
* شرح وترتيب حكم بن عطاء الله السكندرى .
* نظم حكم بن عطاء الله السكندرى .
* التراجم المهمة للأربعة الأئمة .
* رباعيات الخطيب .
* روضات الخطيب .
* مجامع الأنوار .
* بشرى العاشقين .
* لامية الخطيب فى الوعظ والحكم وشرحها .
* ديوان الخطيب عدة أجزاء .
* ديوان الإمام على كرم الله وجهه .

* ديوان الإمام الشافعي وشرحه .

* تشطير الخطيب النيدى للامية بن الوردى وشرحها .

* حكم الخطيب . * ديوان أبى الفتح البستى وشرحه

* تقريب صحيح الترمذى وشرحه .

* صورة المجتمع الكبرى .

* من أسرار الذكر * الوسيلة والتوسل .

* بداية التعرف شرح نقاية التصوف .

* مناسك الحجاج .

* اتحاف الذاكرين . * رسالة الجهاد .

* تفسير الخطيب للقرآن الكريم .

* الفتاوى . * مدرسة الشعراء .

* شرح أمثال القاسم بن سلام .

* وحى الحديث .

* إتحاف الأخيار بأصح العقائد والأذكار .

* الأحاديث المختارة فى البخارى وشرحها خمسة أجزاء .

**** هذه المؤلفات منها ما طبع ومنها ما نسأل الله الكريم أن ييسر نشره وما ذلك على فضله بعزيز .**

((شكر وتقدير))

وإني لأشكر الشكر الخالد السيد الأستاذ الخليفة الشاذلي الصالح المصلح / السيد محمد سعيد رجل الأعمال بعياش والمحلة الكبرى على تشجيعه إياي على طبع هذا الكتاب القيم العظيم الذي أبت همته إلا أن يقوم بإعادة طبعه رغبة في الله ونشرا لهداه وحبا في مصطفاه صلى الله عليه وسلم . والله المسئول أن يحببنا فيه وفيمن يحبه وفيما يرضيه وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يمتعنا بالنظر إليه في جنات النعيم .

وسلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين

محمود محمد خليل الخطيب

شيخ الطريقة الخطيبية الشاذلية

بجمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - قصة الثلاثة الذين سدت عليهم الصخرة باب الغار

عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار [١] فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل ، فسدت عليهم الغار [٢] فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم [٣] .

قال رجل منهم:اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران [٤] وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً [٥] فنأى بى طلب الشجر يوماً[٦] فلم ارح عليهما[٧]حتى ناما فحلبت لهما غبوقهمافوجدتهما نائمين،فكرهت أن أوقظهما،وأن اغبق قبلهما اهلاً أو مالاً فلبثت والقدح على يدى أنتظراستيقاظهماحتى برق الفجر[٨]والصبيةيتضاغون[٩]عند قدمى فاستيقظا فشرباغبوقهمااللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك[١٠]ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه [١١] .

---

(١) أنزلهم طلب البيات فى كهف . (٢) أى بابه . (٣) بأعمالكم الصالحة متوسلين بها .

(٤) فى السن ، و فى بعض الروايات . فقيران ليس لهما خادم و لا راع ولا و لى غيرى فكنت أرعى لهما بالنهار ، و آوى إليهما بالليل . (٥) أغبق بضم الباء و كسرها : أسقي و أهلاً : زوجاً و ولداً ومالاً أى خادماً و عبداً و الغبوق : شراب المساء ، و الصبوح : شراب الصباح . (٦) أبعدنى البحث عن الشجر لترعى فيه الماشية زيادة عن العادة . (٧) أرح بضم الهمزة و كسر الراء ، أرجع إليهما . (٨) ظهر ضيائه . (٩) يصيحون من الجوع و الضغاء ممدود مضموم الاول صوت الذلة و الفاقة ، فإن قلت نفقة الفرع مقدمة على الأصل فلم آثر أبويه على أولاده . قلت قال الكرمانى : لعل شريعتهم تقدم نفقة الأصل على الفرع أوصياحهم لطلب الزائد عن الضرورة . (١٠) ابتغاء رحمتك و خشية عذابك . (١١) أى زال ثلث الحجر كما فى رواية ابن حبان فى صحيحه . أ هـ .

قال الآخر : اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إليّ ، وفي رواية . كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فأردتها (١) عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين (٢) فجاءتنى فأعطيتها عشرين و مائة دينار(٣) على أن تخلى بينى و بين نفسها ففعلت (٤) حتى إذا قدرت عليها . و فى رواية : فلما قعدت بين رجليها . قالت : اتق الله و لا تفضَّ الخاتم إلا بحقه (٥) ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إليّ،وتركت الذهب الذى أعطيتها،اللهم إن كنت فعلت ذلك (٦) ابتغاء وجهك فافرج (٧) عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة (٨) غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها(٩) .

و قال الثالث : اللهم استأجرت أجراء ، و أعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له و ذهب فثمرت أجره (١٠) حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله أد إلى أجرى ، فقلت : كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال يا عبد الله لا تستهزئ بى (١١) فقلت لا استهزىء بك

---

(١) أى راودتها علي جماعها فلم توافق. (٢) نزلت بها نازلة القحط و الشدة . (٣) لا منافاة بين هذه الرواية و الرواية الأخرى الصحيحة أن جميع ما دفعه لها مائة دينار لأن التخصيص بالعدد لا ينفى الزائد أو أن المائة طلبتها و تبرع لها بالعشرين . (٤) خلت . (٥) الخاتم كناية عن الفرج و عذرة البكارة ، و الفض : الفتح ، و حقه التزويج المشروع أى لا تزل بكارتى إلا بالتزويج . (٦)تركها مع حبها ، و تخلية المال لها . (٧) بوصل الهمزة و ضم الراء أو قطعها مع كسر الراء . (٨) زال ثلثها الثاني . (٩) لضيقها عن ذلك . (١٠) كثرته بالتصرف فيه و كان فرق ارز ، و الفرق : مكيال يسع ستة عشر رطلاً ، و سبب تركه له إستقلاله إياه مدعياً أنه عمل عمل اثنين فزرعه المستأجر حتي نما وكثر ، فلما جاء الأجير يطلب أجره ثانياً أعطاه المال كله . قال : و لو شئت لم أعطه إلا الأجر الأول ، كما جاء فى بعض الروايات . (١١) فإن أجرى الذى تركته لا نسبة بينه و بين ما تعرضه على .

فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون ، قال الإمام النووى:متفق عليه (١) .

---

(١) أى روى أصله البخارى و مسلم و إلا فبينهما اختلاف فى بعض ألفاظه و رواه النسائى ، و رواه ابن حبان فى صحيحه باختصار .

و يستنبط من هذا الحديث :

(١) استحباب الدعاء حال الكرب ، و أنه ينفع فى دفع البلاء و التوسل بصالح العمل .

(٢) و فيه فضيلة بر الوالدين ، و فضل خدمتهما و إيثارهما على من سواهما من الولد والزوجة و فيه فضل العفاف أن الانكفاف عن المحرمات لاسيما بعد القدرة عليها و الهم بفعلها ، و ترك ذلك لله خالصاً ، و فيه جواز الإجارة بالطعام ، و فضل حسن العهد و أداء الأمانة و السماحة فى المعاملة ، و إثبات كرامات الأولياء ، وأن ترك المعصية يمحو مقدمات طلبها وأن التوبة تجب ما قبلها . قال الإمام الخطابى : إنما تطوع بإعطائه هذا المال تقرباً إلى الله تعالي ، و لذا توسل به للخلاص ، ولم يكن يلزمه في الحكم أن يعطيه أكثر من القدر الذى استأجره عليه . فلذا حمد فعله ، والله أعلم أ هـ شرح ابن علان على رياض الصالحين للإمام النووى و غيره .

(فائدة) قال الإمام ابن حجر : إن الروايات اختلفت فبعضها قدم ذكر المرأة ثم الأجير ثم الأبوين ، وبعضها عكس على أنحاء متعددة و فى ذلك دلالة على أن الرواية بالمعنى سائغة و لا أثر للتقديم والتأخير فى مثل ذلك . (فائدة أخرى) صاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة ، و قد ترك الذهب الذى اعطاه للمرأة فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدى ، و لا سيما أنها ابنة عمه فتكون فيه صلة رحم ، و قد كان فى سنة قحط فالحاجة إليه أشد . أ. هـ

٢ - قصة التائب قاتل المائة

عن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله عنهما أن نبى الله صلى الله عليه و سلم قال [١] كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة و تسعين نفساً [٢] فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب[٣] فأتاه فقال : إنه [٤] قتل تسعة و تسعين نفساً فهل له من توبة فقال : لا فقتله فكمل به مائة [٥] . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم و من يحول بينه و بين التوبة انطلق إلى أرض كذا و كذا [٦] فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى . فاعبد الله معهم و لا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا نصف الطريق [٧] أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى[٨] وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط [٩] و أتاهم ملك في صورة

---

(١) مرغباً فى التوبة و صغر الذنب و إن عظم بالنسبة إلى عفو الرب . (٢) على وجه العدوان فهبت عليه نسمات الغفران . (٣) عابد من عباد بنى اسرائيل و فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السلام لأن أمته ابتدعت الرهبانية. (٤) عدل عن التكلم إلى الغيبة ليشير إلى الأدب فى حكاية ما يكره النطق به . (٥) حينما أوقعه في اليأس من رحمة الله . و هذا دليل جهل الراهب وعدم فطنته إذ لم يصب فتياه ، و جر رداه و لما استمر لطف الله به بقيت فى نفسه الرغبة فى السؤال عن حاله حتى سأل العالم فقال (نعم) له توبة ، ومن يحول بينه و بين (التوبة) استفهام إنكار أى لا يمنعك منها شئ . و عدل عن ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب مراعاة لحسن الأدب فى الخطاب وهو أنه لا يضاف ما فيه لوم و لا على سبيل الرمز للمخاطب . (٦) و فى رواية الطبرانى عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً أن اسم القرية الصالحة نصرة و اسم القرية التى كان فيها كفرة . (٧) نصف الطريق : بلغ نصفها . (٨) فيه دليل على أن الله أطلع ملائكة الرحمة علي نيته دون ملائكة العذاب . (٩) ظرف لاستغراق الزمن الماضى إذا لو اطلعت على نيته لشهدت بما شهدت به ملائكة الرحمة .

آدمى فجعلوه بينهم أى حكماً فقال: قيسوا مابين الأرضين[١] فإلي أيتهماكان أدنى فهو له[٢] فقاسوا فوجدوه أدني إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكةالرحمة.

و فى رواية فى الصحيح . فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر [٣] فجعل من أهلها و فى رواية فى الصحيح فأوحي الله إلى هذه أن تباعدي و إلى هذه أن تقربى ، و قال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له ، وفى رواية فناء بصدره نحوها [٤] .

---

(١) التى خرج منها و التى قصدها . (٢) أى إن كان أقرب إلى أرض الطاعة فهو للجنة ، و إلا فهو للنار . (٣) بعد الأمر لها بالقرب فلا تخالف الرواية الآتية . (٤) نهض مع ثقل ما أصابه من المرض . ويؤخذ من هذا الحديث : أن العابد بغير علم يضر نفسه و غيره ، وقبول توبة القاتل عمداً وهو مذهب جمهور العلماء فهو و إن كان شرعاً لمن قبلنا فقد قرره شرعنا قال تعالى : (و الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون) إلى قوله : إلا من تاب و أما قوله تعالى : (و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها) فمعناه أن جهنم جزاؤه و قد يجازى بها و قد يجازى بغيرها ، و قد يعفى عنه . وفيه مقاطعة إخوان السوء ما داموا على حالهم . و مخالطة أهل الخير و من ينتفع بصحبته وفيه تحكيم الخصمين عند الخلاف من يفصل بينهما و فيه أن الذنوب و إن عظمت فعفو الله أعظم ، وأن من صدقت توبته حقت رحمته .

٣ - قصة الملك و الساحر و الغلام

عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : كان ملك فيمن كان قبلكم . وكان له ساحر فلما كبر قال للملك: إنى قد كبرت فابعث إلىّ غلاماً أعلمه السحر (١) فبعث إليه غلاما يعلمه (٢) وكان فى طريقه إذا سلك راهب (٣) . فقعد إليه ، و سمع كلامه فأعجبه (٤) و كان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب . فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى (٥) وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر (٦) فبينما هو على ذلك (٧) إذ أتى على دابة عظيمة (٨) قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل . فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمرُ الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة (٩) حتى يمضى الناس . فرماها فقتلها و مضى الناس فأتى الراهب فأخبره . فقال له الراهب : أى بنى أنت اليوم (١٠) أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى (١١) و أنك ستبتلى (١٢)

---

(١) و فى رواية الترمذى فابعث إلي غلاماً فهما أو فطناً أعلمه علمي فإنى أخاف أن أموت و ينقطع عنكم هذا العلم فنظروا له على ما وصف. (٢) ذكر القرطبى أن الملك كان بنجران ، واسم الغلام عبد الله بن تامر . (٣) عابد نصرانى . (٤) فدخل فى دينه . كما فى رواية الضحاك . (٥) لتخلفك عندى عن الذهاب إليه . (٦) لتخلفك عندى فى العود من عند الساحر و دله على هذه الحيلة على ما فيها من الكذب لأنه رأى أن مصلحة تخلفه أعظم من مفسدة تلك الكذبة فهى نظير الكذب لإصلاح الخصمين أو من باب الكذب لانقاذ المحترم من التعدى عليه بالضرب . (٧) التردد بين الرجلين . (٨) أسد أو غيره منع المرور فى الطريق خشية منه . (٩) بمجرد وصول الحجر إليها ليكون دليلاً على منزلة الراهب عندك . (١٠) الآن . (١١) من كمال اليقين و إكرام ربك لك بإهلاك الدابة . (١٢) ستفتن وقال هذا إما بالكشف أو الفراسة أو العادة أو التجربة إذ من خالف الناس آذوه .

فإن [١] ابتليت فلا تدل على . و كان الغلام يبرئ الأكمه و الأبرص ، ويداوى الناس من سائر الأدواء [٢]، فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة . فقال : ما هنا لك . إن أنت شفيتنى [٣] قال : إنى لا أشفى أحداً . إنما يشفى الله تعالى ، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك من ردّ عليك بصرك ؟ قال ربى . قال : أوَ لك رب غيرى ؟ قال : ربى و ربك الله . فأخذه فلم يزل يعذبه[٤] حتى دل على الغلام : فجئ بالغلام . فقال له الملك : أى بنىَ قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل [٥] فقال : إنى لا أشفى أحداً إنما يشفى الله تعالى. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجئ بالراهب فقيل له ارجع عن دينك [٦] فأبى فدعا بالمنشار [٧] فوضع المنشار فى مفرق رأسه [٨] فشقه حتى وقع شقاه . ثم جئ بالغلام فقيل له . ارجع عن دينك . فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه [٩] فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا و كذا [١٠] فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته [١١] فإن رجع عن دينه و إلا فاطرحوه [١٢] فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم

---

(١) أتى بإن الدالة على الشك مع تحققه أولاً وتأكيده باعتبار ما قام عنده ممايستلزم الوقوع فجزم به. و أما الشك فباعتبار الواقع بالفعل فإن الفراسة قد تخطئ والتجربة قد تتخلف ، والكشف قد يقع فيه اللبس. أوشك تخفيفاًعلى الغلام إذلوخاطبه فى الجملةالثانيةمتيقناًكالأولى لأوقعه فى الكرب قبل حلول البلاء . (٢) الأكمه من ولد أعمى . و الأبرص : من به البرص : داء معروف و الأدواء : الأمراض عطف عام على خاص . (٣) لا غيرك بدليل المقام . (٤) ليدل على من علمه . (٥) كناية عن كثرة تصرفاته . (٦) عن عبادة الله عز و جل فامتنع اشد الامتناع . (٧) و روى بالمنشار : آلة النشر يقال أشرت الخشبة و نشرتها . (٨) وسطها . (٩) أصحاب الملك أو الغلام . (١٠) يكنى بها عن المجهول و مالا يراد التصريح به . (١٠) أعلاه . (١١) و إن لم يرجع فاطرحوه .

اكفنيهم بما شئت[١]فرجف[٢] بهم الجبل فسقطوا[٣]وجاء يمشي إلى[٤] الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله تعالى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قر قور [٥] وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه والافاقذفوه فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك [٦] فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى . فقال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به . قال : ما هو؟ قال تجمـع الناس فى صعيد واحد [٧] وتصلبنى على جـذع [٨] ثم خذ سهما من كنانتى [٩] ثم ضع السهم فى كبد القوس [١٠] ثم قل بسم الله رب الغلام [١١] ثم ارم فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى [١٢] فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوقع السهم فى صدغه [١٣] فوضع يده فى صدغه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام [١٤] فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك . قد آمن الناس [١٥] فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت [١٦] وأضرم فيها النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها [١٧] أو قيل له : اقتحم -

(١) بإهلاكهم أو بغيره . (٢) اضطرب وتحرك . (٣) يؤخذ منه نصر من اعتمد على مولاه .

(٤) ليريه آية الله بنصره، واهلاك ضده، لعله يرجع عنه عدوانه . (٥) بضم القافين : السفينة العظيمة أو الصغيرة. (٦) ليبصر قدرة الله، ومن أين وقد أعماه. (٧) أرض واحدة ومقام واحد .(٨) الصلب : تعليق الإنسان للقتل ، وقيل شد صلبه على خشبة والجذع عود من أعواد النخل . (٩) الكنانة خريطة السهام . (١٠) وسطها . (١١) تمم به لئلا يوهم الملك الحاضرين أنه هو . (١٢) أماتنى الله بسبب قتالك لى (١٣) الصدغ ما بين العين الى شحمة الأذن . (١٤) حينما شاهدوا قدرته الكاملة الدالة على أنه واحد لافاعل سواه . (١٥) بيان لما كان يحذره . (١٦) الشقوق فى الأرض كالنهر الصغير وأفواه السكك أوائل الطرق وخدت : حفرت . (١٧) أقحموه بقطع الهمزة : ألقوه كرها .

ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست (١) أن تقع فيها . فقال لها الغلام (٢) يا أمه اصبرى فإنك على الحق ، رواه مسلم والترمذى و ذكره القرطبى فى تفسيره ، وابن حبان في صحيحه « و جاء فى رواية الترمذى أن الغلام الذى قتله الملك وجد فى زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويده على جرحه كهيئته حين مات ، ولاعجب فإنه شهيد ، وكان قتله سببا في إسلام كثير .

---

(١) تأخرت . (٢) ولدها الرضيع وكان سنه سبعة أشهر كما فى رواية ابن قتيبة "تنبيه" ، هذه القصة هى المشار اليها بقوله تعالى والسماء ذات البروج الآيات، ويؤخذ من الحديث: عظم منزلة الصبر وهو وان عظم الالم .به الا أنه هين فى جنب ما أعد لصاحبه من ثواب دون حساب ، وفيه فضل الثبات على الدين ولو عذب بأنواع العذاب كما وقع من بلال فى أول الإسلام ، وهو أفضل من النطق بكلمة الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان ، وفيه إثبات كرامات الأولياء كما حصل من الغلام مرات ومن الراهب ، ومن الطفل وغيرها من الفوائد ، والله أعلم .

فائدة نظم السيوطى من تكلم فى المهد وعددهم عشرة فقال :

تكلَّم فى المْهـدِ النبىُّ مـحـمـدٌ ... ويحيى وعيسى والْخليلُ ومَرْيَمُ

وَمُبْرِى جُرَيْجٍ ثم شاهِدُ يُوسُفٍ ... وَطِفْلٌ لَدَىَ الْأُخْدُودِ يَرْوِيهِ مُسْلِمُ

وماشِطَةٌ فى عَهْدِ فِرْعَوْنَ طِفْلُهَا ... وفى زَمَنِ الْهادِى الْمُبَارَكُ يَخْتِمُ

وزاد بعضهم

وَطِفْلٌ عَلَيْـهِ مُـرَّ بِالأَمَـةِ الَّتِى ... يُقَـالُ لهَــا تَزْنِى ولا تَتَكَلَّمُ

وزاد آخر .

ونوحٌ بِبَطْنِ الغارِ فى يوْمِ وَضْعِهِ ... وموسى من التَّنُّورِ والنَّارُ تُضْرَمُ

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

٤ - قصة الرجل

الذى وجد جرة مملوة ذهبا في أرض اشتراها

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اشترى رجل من رجل عقارا فوجد الذى اشترى العقار فى عقاره جرة [١] فيها ذهب . فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك . إنما اشتريت منك الأرض ولم أشتر الذهب وقال الذى له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها [٢] فتحا كما إلى رجل [٣] فقال الذى تحا كما اليه ألكما ولد؟ [٤] قال احدهما [٥] : لى غلام ، وقال الآخر [٦] : لى جارية [٧] قال : أنكحوا [٨] الغلام الجارية وأنفقوا [٩] على أنفسهما منه وتصدقا [١٠] متفق عليه .

---

(١) وقعت هذه القصة فى عهد داود عليه السلام . والعقار : المنزل والجرة : أنية معروفة من الفخار .
(٢) لايخفى أن هذا الاختلاف فى صورة العقد فالمشترى يقول . لم يقع التصريح إلا ببيع الأرض فقط ، والبائع يقول : وقع التصريح ببيعها وبيع ما فيها ، ويحتمل أن يكون العقد وقع منهما على الأرض خاصة ، واعتقد البائع دخول ما فيها ضمنا ، واعتقد المشترى عدم الدخول . (٣) هو داود . (٤) ألكل منكما ولد ؟ (٥) المشترى . (٦) البائع . (٧) بنت . (٨) أنتما والشهود . (٩) أنتما ومن تستعينان به كالوكيل . (١٠) مذهب الشافعية إذا باع أرضا لايدخل فيها ذهب مدفون فيها بل هو باق على ملك البائع ان ادعاه وإلا فلمن ملك منه وهكذا حتى ينتهى الأمر إلى من أحياها فيكون له وان لم يدعه .

ويؤخذ من هذه القصة أن هذين الرجلين كانا فى غاية الورع والبعد عن الطمع ، ويقل من يتحلى بهذه الصفة لأن الغالب على الناس حب المال ورغبة الحصول عليه بأى سبيل .

٥ - قصة الأبرص والأعمى والأقرع

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : إن ثلاثة من بنى اسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا الله عزوجل أن يبتليهم[١] فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص [٢] فقال : أى شىء أحب إليك ؟ قال : لون "حسن" وجلد حسن قد قذرنى الناس [٣] قال فمسحه فذهب عنه فأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا ، فقال : أى المال أحب اليك ؟ قال الإبل فأعطى ناقة عشراء [٤] فقال : يبارك لك فيها : وأتى الأقرع فقال : أى شى أحب إليك ، فقال : شعر حسن ويذهب عنى هذا، قد قذرنى الناس . قال : فمسحه فذهب [٥] وأعطى شعرا حسنا . قال فأى المال أحب إليك ؟ قال البقر . قال فأعطاه بقرة حاملا وقال يبارك لك فيها .

وأتى الأعمي فقال أى شىء أحب اليك ؟ قال يرد الله إلى بصرى فأبصر به الناس . قال فمسحه فرد الله اليه بصره ، قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال الغنم فأعطاه شاة والداً فأنتج هذان وولد هذا [٦] فكان لهذا واد من إبل ، ولهذا واد من الغنم .

ثم إنه أتى الأبرص فى صورته [٧] وهيئته . فقال رجل مسكين تقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ، ثم بك اسألك بالذى أعطاك اللون

---

(١) بدا الله أن يختبرهم : حكم أن يعاملهم معاملة الاختبار . ليظهر لخلقه من كان منهم من الأخيار أو الأشرار . (٢) الذى ابيض جسده لفساد مزاجه . (٣) اشمأزوا من رؤيتى وعدونى مستقذرا وكرهونى . (٤) التى أتى لحملها عشرة أشهر وهى من أنفس الإبل . (٥) القرع . (٦) ذات ولد أو حاملا . وأنتج بهمزة مضمومة لغة قليلة والمشهور نتج بضم النون من غير همز وقد راعى عرف الاستعمال إذ قال فيهما انتج وفى الشاة ولد . (٧) فى شكله الذى كان عليه حال الاجتماع به تعريضا له بحالته الأولى ليكون أبلغ فى إقامة الحجة عليه .

الحسن والجلد الحسن والمال - بعيراً أتبلغ به فى سفرى [١] فقال له : كأنى أعرفك : ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله - فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر [٢] . فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله الي ما كنت .

وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت .

وأتى الأعمى فى صورته فقال رجل مسكين وابن سبيل [٣] تقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك . أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها فى سفرى ، فقال قد كنت أعمى فرد الله بصرى ، وفقيرا فقد أغنانى فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك [٤] اليوم بشىء أخذته لله . فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك . رواه البخارى

---

(١) الحبال : الأسباب والبلاغ : ما يبلغ به المرأ مأربه أى نفدت الأسباب دون وصولى الى ما أريد وانتطعت بى الحيل فى طلب ما به قوام أمرى وليس طريق لبلوغ مأربى الا بالله الذى أنعم عليك ثم بك فأسألك بعيرا أتوصل به إلى مقصدى شكرا لإنعام الله عليك وإكرامه لك . (٢) وكذب فى دعواه وكفر بنعمة مولاه ، فإنه كان كما علمت ولم يرث عن آبائه الذى ادعى بهتانا أنه ورث عنهم حال كون كل واحد منهم كبيرا ورث عن كبير. (٣) السبيل : الطريق وابن السبيل المسافر كثير السفر المنقطع عن ماله سمى ابناً لها لملازمته إياها ملازمة الطفل لأمه .(٤) لا أجهدك بفتح الهمزة و الهاء أى لا أشق عليك فى رد شئ تطلبه منى أو تأخذه . و يوخذ منه أن شكر النعم يذهب النقم . و أنه قيد الموجود وصيد المفقود . و قلت :

وَصِدْ أَنْعُماً بِالشُّكْرِ مِنْكَ لِمُنْعِمٍ   وَقَيِّدْ لِمَا أُوتِيتَ مِنْهَا بِشُكْرِهِ

فالأبرص و الأقرع بخلا بيسير مما أعطاهما الله ، و اعتذرا و تكبرا فسخط الله عليهما و سلب نعمته منهما ، و أما الأعمي فاعترف بالنعمة فأتمها عليه و سيجد خير المصير لديه .

٦ - قصة الرجل الذى نذر أن يتصدق

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : قال رجل [١] لأتصدقن [٢] بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق [٣] فأصبحوا يتحدثون «تصدق الليلة على سارق» فقال «اللهم لك الحمد» [٤] لأتصدقن بصدقة » فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون «تصدق الليلة علي زانية» فقال اللهم لك الحمد على زانية لأتصدقن بصدقة » فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى فأصبحوا يتحدثون « تصدق الليلة على غنى » فقال « اللهم لك الحمد على سارق و على زانية و على غنى فأتى [٥] فقيل له « أما صدقتك على سارق [٦] فلعله أن يستعف عن سرقته و أما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها و أما الغنى فلعله أن يعتبر فينفق مما آتاه الله . رواه البخارى بلفظه و مسلم بمعناه .

---

(١) من بنى اسرائيل . (٢) الليلة كما فى صحيح مسلم ، وبه يشعر السياق. (٣) وهو لايعلم بحاله . (٤) لك الحمد لا لى لأن صدقتى وقعت بيد من لايستحقها و ذلك بإرادتك لا بإرادتى و إرادتك لحكمة فأنت المحمود على كل حال. (٥) أى أتى فى منامه . (٦) فقد قبلت كما في رواية ، ويؤخذ منه أن الصدقة عندهم كانت مختصة بالفقراء من أهل الصلاح، ولهذاتعجبوامن الصدقةعلى هؤلاء وأن نية المتصدق إذا كانت صالحة قبلت صدقته، وإن لم تقع الموقع . وهذا فى صدقة التطوع . وأما الواجبة فلا تجزئ على غنى وإن ظنه فقيراً خلافاً للإمام الأعظم و محمد حيث قالا تسقط و لا تجب عليه الإعادة . وما أقبح السؤال ، و قلت فى الكافية الكبرى :

وَ اعْلَمْ بِأَنَّ سُؤَالَ غَيْرِكَ ما لَهُ ... بُسْلٌ عليْكَ إذا أرَدْتَ ثَرَاكَــا
ما حلتِ الصَّدقاتُ لِلمُثْرِى و لا ... ذى مِـــرَّةٍ لَكِنَّهـــا لِأُولَاكَـــا
لِذَوِي افْتِقَـارٍ مُدْقِعٍ أوْ مَغْرَمٍ ... مُسْتَـفْظَعٍ أو ذِى دَمٍ آذاكَـا

و بسل : ممنوعة . و المرة : القوة و المدقع الذى لا يملك شيئاً و المغرم : الغرم أى أداء ما تكفلت به والمستفظع : الشنيع و الدم المؤذى أن يتحمل الإنسان دية فيسعى فيها ليؤديها إلى أولياء المقتول وإن لم يؤدها قتل المتحمل عنه و هو قريبه فيوجعه قتله .

٧ - قصة صاحب الحديقة

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : بينما رجل يمشى بفلاة [1] من الأرض فسمع صوتاً فى سحابة « اسق حديقة فلان» فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرّة [2] فإذا شرجة [3] من تلك الشراج قد استوعبت الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم فى حديقته يحوِّل الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك ؟ قال «فلان» للاسم الذى سمع فى السحابة فقال له «ياعبد الله لم تسألنى عن اسمى» فقال « إنى سمعت صوتاً فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فماتصنع فيها » فقال «أما إذ قلت هذا فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه و آكل أنا و عيالى ثلثاً وأرد فيها ثلثه » . رواه مسلم ص ٢٥٠ رياض الصالحين .

---

(١) الفلاة : الأرض التى لا ماء فيها . (٢) الحرة : أرض ذات حجارة سوداء . (٣) الشرجة : مكان اجتماع الماء و جمعها شراج بكسر الشين . و يؤخذ من هذه القصة مكافأة الله أهل الصدقة فى الدنيا مع عظم ثوابهم فى الاخرة ، و أن الله يعتنى بالصادقين فى معاملته فهذا الرجل حينما تصدق بجزء من حديقته سخر السحاب يسقيها له قال تعالى : إن المصدقين و المصدقات ، و أقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ، و لهم أجر كريم . و فى الحديث الصحيح : ما نقصت صدقةمن مال و ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله .

٨ - قصة جريج الراهب

عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جريج [١] رجلاً عابداً فاتخذصومعة فكان فيها فأتته أمه فجعلت كفيهافوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه فقالت « ياجريج أنا أمك كلمنى فصادفته يصلى « فقال اللهم أمى وصلاتى » فاختار صلاته [٢] فرجعت ثم عادت في الثانية فقالت «يا جريج أنا أمك فكلمني، قال اللهم أمى وصلاتى» فاختار صلاته» فقالت « اللهم إن هذا جريج وهو ابنى فإنى كلمته فأبى أن يكلمنى «اللهم فلاتمته حتى تريه وجوه الموسات [٣] قال ولو « دعت عليه أن يُفتن لفتن، وكان راعى ضأن يأوى إلى ديره قال « فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعى فحملت فولدت غلاماً فقيل لها «ما هذا» قالت « من صاحب هذا الدير قال فجاءوا بفئوسهم و مساحيهم فنادوه فصادفوه يصلى فلم يكلمهم قال « فأخذوا يهدمون ديره فلما رأى ذلك نزل إليهم فقالوا له « سل هذه » قال « فتبسم ثم مسح رأس الصبى فقال « من أبوك » قال : أبى راعى

---

(١) ورد فى الحديث أن جريجاً من بنى اسرائيل وأنه كان تاجراً ، وكان ينقص مرة ، ويزيد أخرى . فقال : ما فى هذه التجارة خير لألتمسن تجارة هى خير من هذه فبني صومعته و ترهب فيها . وكانت أمه تأتيه فيكلمها حتى جاءته مرة وهو يصلى فلم يكلمها احتراماً للصلاة .

(٢) مذهب المالكية أن إجابة أحد الوالدين فى صلاةالنافلة أفضل من الاستمرار فيها. وأما الشافعية فالأصح عنهم أن الصلاة ان كانت نفلاً و علم الولد أن الوالد يتأذى بترك الإجابة وجب عليه أن يجيب وإلا فلا و ان كانت فرضاً و ضاق الوقت لم تجب الإجابة ، و ان اتسع الوقت ففى وجوب الاجابة قولان الأصح أنها لا تجب ، و مذهب الأحناف أن الفريضة لا تقطع بنداء أحد الأبوين إلا مستغيثاً ، و أما النافلة فإن علم أحد أبويه أنه فيها و ناداه فلا بأس أن لا يجيبه و إن لم يعلم يجبه وجوباً . (٣) الزانيات .

الضأن فلما سمعوا ذلك منه قالوا « نبنى ماهدمنا من ديرك بالذهب والفضة » قال « لا و لكن أعيدوه تراباً كما كان » ثم علاه . رواه البخارى و مسلم و اللفظ له .

(فائدة) جاءت قصة جريج مفصلة عن الإمام أحمد و الطبرانى هكذا :

إن أم جريج لما غضبت قالت أبيت أن تطلع إلىّ وجهك لا أماتك الله حتى تنظر فى وجهك زوانى المدينة . فذكر بنو إسرائيل عبادة جريج فقالت بغى منهم إن شئتم لأفتننه. قالوا: قد شئنا فأتته فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأمكنت نفسها من راع كان يؤوي غنمه إلى أصل صومعة جريج فلما ولدت من الزنا أخذوها ، وكان من زنى منهم قتل فاتهمت جريجاً فأقبلواعلى صومعته يهدمونها فلمارأى ذلك تدلى إليهم بحبل فسبُّوه و ضربوه و أخذوه إلى الملك ، و مروا فى طريقهم ببيوت الزوانى - فلما نظر إليهن تبسم فقالوا لم يضحك حتى مر بالزوانى فلما أتوا الملك قالوا له : ويحك يا جريج كنا نراك خير الناس فأحبلت هذه اذهبوا به فاصلبوه فطلب أن يمهلوه فتوضأ وصلّى ودعا ثم أتى الطفل و فمه فى ثدى أمه يرضع منها فمسح رأسه وقال : من أبوك يا بابوس - يعنى يا رضيع فترك الطفل ثدى أمه ، و قال أبى الراعى فأبرأ الله جريجاً و أعظم الناس أمره ، وجعلوا يقبلونه واقترحوا أن يبنوا ديره الذى كان يعبد فيه من ذهب و فضة فطلب أن يكون من طين كما كان ، وسألوه بالله مم ضحكت ؟ فقال : ما ضحكت إلا من دعوة دعتها على أمى . أ هـ سمير الصالحين لصديق أرواحنا الفاضل الشيخ عبد الله الصديق .

ويؤخذ من هذه القصة : ١- أن حق الأم عظيم، وأنها يستجاب لهافى ولدها إذا تغير قلبهاعليه فجريج مع عبادته واعتزاله تغير قلب أمه عليه إذ دعته ولم يجبها لأنه كان فى صلاته فدعت عليه فاستجيب لها فما الظن بمن تدعو عليه لإهانتها .

٢ - أن الالتجاء إلى الله بصدق ينفع عند وقوع الشدائد كما التجأ جريج و ليس بينه و بين الموت إلا سويعات فأنطق الله له الرضيع « أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أ إله مع الله قليلاً ما تذكرون ؟

. ٣ - قوة الإيمان و صدق التوكل تصدر عنهما العجائب كما أنطق الله الرضيع لهذا الرجل المبارك . بل أنطق له فروع الشجرة . ذكر السمرقندى أن المرأة اتهمته أنه زنا بها عند شجرة فذهب إلى الشجرة يسألها : و قال يا شجرة اسألك بالذى خلقك من زنى بهذه المرأة ؟ فأجاب كل غصن منها راعى الغنم . ٤ - نهاية الكذب والزور الخيبة و الفشل كما حصل لهذه المرأة و قلت :

يُنْجِيكَ فِي الدَّارَيْنِ صِدْقُكَ مُخْلِصاً و المَيْنُ يُحْبِطُ فيهما مَسْعَاكَـا

أ هـ سمير الصالحين بتصرف يسير لصديق أرواحنا الشيخ عبدالله الصديق.

٩ - قصة الرضيع الذى كلم أمه

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : كانت امرأة ترضع ابناً لها من بنى اسرائيل فمر رجل راكب على دابة فارهة [١] وشارة حسنة فقالت أمه « اللهم اجعل ابنى مثل هذا » فترك الثدى و أقبل إليه فنظر إليه فقال « اللهم لا تجعلنى مثله » ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع قال فكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة يجعلها فى فمه فجعل يمصها قال « و مروا بجارية و هم يضربونها و يقولون « زنيت سرقت » و هى تقول « حسبى الله و نعم الوكيل ، فقالت أمه « اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاعة و نظر إليها و قال « اللهم اجعلنى مثلها » فهناك تراجعا الحديث [٢]

(١) نشيطة قوية و الشارة الحسنة : الهيئة و اللبس . (٢) كلمته و كلمها .

فقالت « حلقى [١] مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله و مروا بهذه الأمة و هم يضربونها و يقولون سرقت زنيت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت « اللهم اجعلنى مثلها » قال إن ذاك الرجل كان جباراً فقلت اللهم لا تجعلنى مثله و إن هذه يقولون لها زنيت و لم تزن سرقت و لم تسرق فقلت « اللهم اجعلنى مثلها » . رواه البخارى و مسلم

١٠ - قصة التاجر المستلف ألف دينار

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض [٢] بنى اسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال : «ائتنى بالشهداء أشهدهم فقال:« كفى بالله شهيداً» قال:« صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجّله فلم يجد مركباً فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيهاألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها . ثم أتى بهاإلى البحر فقال:«اللهم إنك

---

(١) حلقى بفتح الحاء و القاف و سكون اللام : دعاء بوجع الحلق ، و مرادها التعجب من حاله ومعارضته لها فيما دعت به له . و ان فى هذه القصة لعبرة اذ أبى الغلام أن يكون كهذا الجبار ذى المركب الفاره و الهيئة الجميلة لأنه قبيح باطنه كافر بربه ، و إن رغبت أمه أن يكون مثله لما له من المنظر الحسن ، و رغب أن يكون كالجارية الطاهر ذيلها المؤمنة بربها . المتهمة زوراً المفوضة أمرها لعلام الغيوب ، و ليس مراده أن يكون مثلها فى الاتهام بالباطل . بل فى حسن السريرة و قلت :

اِحْتَطْ لِنَفْسِكَ وَ اَسْبِرُ كُلَّ بَاغِيَةٍ ... بِكَ اتِّصالاً و لا تُغْرَرْ بِمَا وَضُحَا
فَرُبَّ ذِى شَارَةٍ يَسْبِيكَ مَنْظَرُهُ ... يَشِفُّ إِنْ يُخْتَبَرْ عَنْ كُلِّ ما قَبُحَا

(٢) جاء مفسراً بالنجاشى فى رواية بإسناد ضعيف ، و نسبته إلى بنى اسرائيل لاتباعه لهم فى دينهم لا أنه من نسلهم ، و يؤخذ من هذه القصة ان من توكل على الله كفاه و رد عليه ما توكل عليه فيه كما فعل مع المقرض و كما أوصل ما على المقترض و من يتوكل على الله فهو حسبه .

تعلم أنى كنت تسلفت فلاناً ألف دينارفسألنى كفيلاً فقلت:«كفى بالله كفيلاً» فرضى بك وسألنى شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً فرضى بك وإنى جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذى له فلم أقدر وأنى أستودعكهافرمى بهافى البحرحتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده - فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها حطباً لأهله فلما نشرها وجد المال و الصحيفة . ثم قدم الذى كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال « والله ما زلت جاهداً فى طلب مركب لآتيك بمالك فماوجدت مركباً قبل الذى اتيت فيه. قال : هل كنت بعثت إلىَّ بشئ ؟ قال : « أخبرك أنى لم أجد مركباً قبل الذى جئت فيه قال: « فإن الله قد أدّى عنك الذى بعثت الخشبة ، وانصرف بالألف دينار راشداً. رواه البخارى و أحمد و النسائى و غيرهم

١١ - الرجل الذى سقى الكلب فغفر له

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئراًفشرب منها، ثم خرج فإذاهو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش [١] فقال لقد بلغ هذا مثلُ الذى بلغ بى فملأ خفه ثم أمسكه بفيه[٢] ثم رقى فسقى الكلب فشكر[٣] الله له فغفر له. قالوا يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً ؟ قال فى كل كبد رطبة أجر[٤] . رواه البخارى و مسلم .

---

(١) ذلك الرجل قيل إنه من بنى اسرائيل،واللهث:إخراج اللسان عطشاًأو إعياء، والثرى:التراب الندى.
(٢) فيه حذف يستلزمه التركيب أى فنزل فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، و فيه إشعار بعسر المرتقى لأنه ما افتقر إلى ذلك الإمساك إلا ليساعد نفسه بيديه عند الارتقاء . (٣) كناية عن قبول العمل ، واشعار بالمبالغة فى الجزاء عليه . (٤) أى فى الاحسان إليها و الله يحب المحسنين . و رطبه : حية .

١٢ - المومس و الكلب

قال أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غفرلامرأة مومسة (١) مرت بكلب على رأس ركى يلهث قد كاد يقتله العطش فنزعت خُفَّها ، فأوثقته بخمارها فنزعت من الماء فغفر لها بذلك . رواه البخارى وعنه كما فى مسلم أن امرأة بغياً رأت كلباً فى يوم حارّ يطوف ببئر قد ادلع لسانه من العطش فنزعت بموقها (٢) فغفر لها.

١٣ - المرأة و الهرة

عن أسماء بنت أبى بكررضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قددنت منى الجنةحتى لو اجترأت عليهاالجئتكم بقطاف من قطافهاودنت منى النار(٣)

---

(١) المومسة : البغى : الزانية . والركى : البئر . والخمار : غطاء الرأس . (٢) الموق : الذى يلبس فوق الخف فارسى معرب . وفى القصة دليل على أن الله قد يغفر الذنب الكبير بالعمل الصغير إذا قبله وقال صلى الله عليه وسلم : من لا يرحم من فى الأرض لا يرحمه من فى السماء و قلت :

لا تحتقرْ ما قلَّ عِنْدَ قبُولِهِ ... إنَّ القليلَ مَعَ القَبُولِ كَثِيرُ
وَدَعِ التَباهِيَ بِالْكَثِيرِ يَرُدُّهُ ... إنَّ الْكَثِيرَ إذا يُـرَدُّ حَقِيرُ

(٣) دنت منى الجنة ، ودنت النار حقيقة، ويؤيده خبر أريت الجنة. وأريت النار أوتمثيلاً ويؤيده عرضت على الجنة والنارآنفاًفى عرض هذا الحائط. أى مثلتاه فى جانب الحائط قال فى هداية البارى : وذلك كما فى الإبريزأن صاحب البصيرة لاسيماسيدالأولين والآخرين صلى الله عليه سلم: إذا توجه قصده إلى شئ لينظره فإن بصيرته تخرق الحجب التى بينه وبين المنظور إليه حتى يبلغ نوره إليه ويحيط به فإذاحصلت صورة المنظور إليه فى البصيرة فإن حكمها يتعدى إلى البصروتصيرالقدرة الحاصلة لها حاصلة للبصر أيضاً فيرى البصر الصورة مرتسمة له فيما يقابله فإن كان المقابل له حائطاً رآها فيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم توجه ببصيرته إليهما فتعدى ذلك إلى بصره و كان المقابل له حائطا فرآها فيه . أ هـ بتصرف يسير . والقطاف: العنقود . والخشيش والخشاش: حشرات الأرض . وانكر بعض العلماء الرواية الأولى و ضبطها بعضهم بضم الأول على التصغير للفظ الثانى و الله أعلم .

حتى قلت أى رب أو أنا معهم فإذا أمراة تخدشها هرة . قلت : ما شأن هذه ؟ قالوا : حبستها حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها و لا أرسلتها تأكل من خشيش أو خشاش الأرض . رواه البخاري

١٤ - النبى و النملة التى قرصته

قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله (١) . البخارى و مسلم و أبو داود و ابن ماجه . و فى رواية البخاري . فهلا نملة واحدة .

١٥ - عيسى عليه السلام و السارق

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : رأى عيسى عليه السلام رجلاً يسرق . فقال له : سرقت ؟ فقال : كلا و الذى لا إله إلا هو فقال عيسى : آمنتُ بالله و كذبت نفسى (٢) . رواه مسلم و البخارى

١٦ - أيوب عليه السلام و جراد الذهب

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بينا

---

(١) قرية النمل : محل اجتماعهن . و يشعر بأن شرع ذلك النبى جواز التعذيب بالنار ، و التسبيح قالى أو حالى ذهب إلى كل فريق ، و يؤيد الأول : و إن من شئ إلا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم ، و من كشف عن بصيرته سمعه . (٢) أى صدقت من حلف بالله تعالى ، و كذبت ما ظهر لى من كون الأخذ سرقة لاحتمال أن يكون أخذه بإذن صاحبه أو أن له حقاً فيه . و هذه مبالغة فى تصديق الحالف ، لا أنه كذب نفسه لأن المشاهدة أعلى اليقينين . و الله أعلم .

أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد [١] من ذهب ، فجعل أيوب يحتمى فى ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم اكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى وعزتك ، ولكن لاغنى بى عن بركتك . رواه البخارى .

١٧ - الجريح المنتحر

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات [٢] ، قال الله تعالى : بادرنى عبدى بنفسه [٣] حرمت عليه الجنة [٤] رواه البخارى .

١٨ - قصة سليمان عليه السلام مع المرأتين والذئب

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم

---

(١) قيل : إن ذلك الجراد صورى مجرد عن الروح ، ولم يتناوله أيوب حبا فى المال . بل لكونه رزقا سيق اليه دون عمل ، ولأنه نعمة خارقة للعادة فينبغى تلقيها بالقبول ، واستنبط منه فضل الغنى لأنه سماه بركة ، وجواز الاغتسال عريانا لأن الله لم يعاتبه عليه وقوله تعالى : ألم اكن أغنيتك ليس عتابا بل استنطاق بالحجة والله أعلم . (٢) استمر النزيف حتى مات . (٣) المبادرة كناية عن استعجاله الموت لأمله . وهو ميت بأجله وسببه الذى قدره الله له ولكن لما وجدت منه المبادرة الي اجترائه على قتل نفسه اطلقت عليه لوجود صورتها وهو وعيد ان لم يكن مستحلا فلا تحرم عليه الجنة ، وان استحله كفر وحرمت عليه . (٤) وفى البخارى : عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا . ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا . اهـ . تردى: أسقط نفسه ، وتحسى : تجرع ويجأ : يطعن ، والخلود : طول المكث .

قال : كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك فتحا كما [١] الى داود فقضى به للكبرى [٢] فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال ائتونى بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى لاتفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغري [٣] متفق عليه .

١٩ - قصة فتنة سليمان

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتى بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه قل إن شاء الله . فلم يقل ان شاء الله . فلم يحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل . والذى نفس محمد بيده : لو قال إن شاء لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون . رواه البخارى ومسلم . وفيهما أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة . كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، ولم يقل ان شاء الله . فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجىء به على كرسيه فوضع فى حجره فو الذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا كلهم فى سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله تعالى : ولقد فتنا

---

(١) وفى رواية فتحاكمتا وتذكير الضمير على معنى الشخصين . (٢) قضاؤه للكبرى بسبب اقتضى ترجيح قولها ككون الولد فى يدها وعجز الأخرى عن البينة . (٣) لما رأى عظيم شفقتها عليه ، ولم يلتفت الى إقرارها لأنها آثرت به حياته بخلاف الكبرى ولم يرد نقض حكم أبيه بل اختبارهما فانكشفت له الحقيقة ، والله أعلم .

سليمان (١) .

٢٠ - قصة آدم وموسى عليهما السلام

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : حاج موسى آدم (٢) فقال له : أنت الذى أخرجت الناس من الجنة بذنبك ، وأشقيتهم قال آدم : يا موسى : أنت الذى اصطفاك برسالته وبكلامه . أتلومنى على أمر كتبه الله . أو قدره الله على قبل أن يخلقنى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى (٣) رواه الشيخان وفى رواية للبخارى : احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة (٤) ، قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده (٥) أتلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة (٦) فحج آدم موسى ثلاثا (٧) .

---

(١) لأطوفن : لأجامعن ، وصاحبه قرينه من الملائكة أو وزيره من الإنس ، ولم يقل بلسانه ان شاء الله لشغل أو نسيان عراه حتى لايقع ما تمناه ، وشق الرجل : هو الجسد الذى القى على كرسيه كما وضحته الرواية الأخرى ، ولا تنافى الرواية الثانية، الأولى لأن مفهوم العدد لاينفى الزيادة ، فليفوض المؤمن الي ربه بلسانه وبقلبه ، وليعتبر بسيدنا سليمان ، نسى ان يفوض باللسان ، فأوخذ بالحرمان (٢) لامه على الأكل من الشجرة ، واين مكان اللوم ؟ الله أعلم . (٣) غلبه بالحجة لأن ما قدره الله واقع . (٤) هذه الجملة مبينة لما قبلها . (٥) كتب لك ألواح التوراة بقدرته . (٦) اتعنفنى على أمر قدره العزيز العليم قبل أنْ أخلق باربعين سنة ، والمراد بالعدد التكثير بدليل رواية البزار أتلومنى على أمر قدره الله على قبل ان يخلق السموات والأرض . (٧) كرر هذه الجملة تقريرا لما سبق وتأكيدا له ، وتمكينا لهذه العقيدة فى الأنفس . وهذه المحاجة لم تكن فى عالم الأسباب الذى لايقطع النظر عن الوسائط والاكتساب . بل كانت فى العالم العلوى عند ملتقى الأرواح .

٢١ - موسى عليه السلام والحجر

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان موسى عليه السلام كان حييا ستيرا (١) ما يرى من جلده شيئ فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقال :ما يستتر هذا الستير الا من عيب بجلده إما برص ، وإما أدرة واما آفة (٢) . وان الله عز وجل اراد أن يبرئه مما قالوا فخلا موسى عليه السلام يوما وحده ، فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل . فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها فعدا الحجر بثوبه (٣) ، فأخذ موسى عصاه فطلب الحجر فجعل يقول : ثوبى حجر ، ثوبى حجر حتى انتهى الى ملأ (٤) من بنى اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضربا بعصاه فو الله إن بالحجر لندبا (٥) من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا ، فذلك قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى(٦) فبرأه الله مما قالوا (٧) وكان عند الله وجيها (٨) .

---

(١) شديد الحياء والستر . (٢) البرص : بياض الجسد لفساد المزاج ، والأدرة : انتفاخ فى الخصيتين والآفة : العاهة وهى تشمل كل الأمراض . (٣) جرى به و افراد الثوب على إرادة الجنس . (٤) الملأ رؤساء القوم ، و قد يراد به مطلق الجماعة . (٥) الندب : الأثر ، و فى عدو الحجر ، وحصول الأثر فيه معجزتان للكليم عليه السلام . (٦) بنسبة ما يجل عنه مقام النبوة . (٧) بإبراز جسده لقومه حتى رأوه وعلموا فساد اعتقادهم . (٨) ذا جاه ، لا يسأله إلا أعطاه ، فحاول أن يكون لك عند الله جاه بكثرة تقواه ، و اطراح من عداه و قلت :

لَا تبْـغِيَنَّ وَجَـاهَةً مِنْ غَـيْـرِهِ ... فَـتَحُطَّ قَدْرَكَ مِنْ عَلِيِّ سَمَاكَا
إِنْ رُمْتَ كَوْنَكَ قادِراً مِنْ عَاجِزٍ ... أَطْلَقْتَ سَهْمَ عِدَاكَ فِي أَحْشَاكَا
إِنَّ الْوَجَـاهَةَ لا تُعَـدُّ وَجَـاهَةً ... مَـا لم تَكُنْ عِنْدَ الَّذِي أَنْشَاكَـا

٢٢ - قصة موسى و ملك الموت عليهما السلام

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاء [١] صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال : أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت [٢] ، قال : فرد الله إليه عينه وقال : ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور [٣] ،فله بما غطت يده بكل شعرة سنة . قال أى رب ثم مه قال ثم الموت ، قال فالآن ، فسأل الله أن يدنيه [٤] من الأرض المقدسة رمية بحجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر [٥] . رواه الشيخان

٢٣ - قصة موسى و الخضر عليهما السلام

عن سعيدبن جبيررضى الله عنه قال:قلت لابن عباس:ان نوفا البكالى- يزعم أن موسى صاحب الخضرليس هوموسى صاحب بنى اسرائيل فقال:كذب عدوالله.

حدثنى أبى بن كعب أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : إن موسى قام خطيباً فى بنى اسرايل فسئل أى الناس أعلم ؟ قال أنا [٦] فعتب الله عليه [٧]

---

(١) صكّه : لطمه على عينه لأنه أتاه في هيئة رجل و لم يخيره بين الموت و الحياة كما هى السنة عند قبض الأنبياء -فلما جاءه وخيره اختار التعجيل شوقاً إلى ربه الجليل. (٢) وفى غير هذه الرواية:(وقد فقأ عينى ولولا كرامته عليك لشققت عليك). (٣) متن ثور: ظهره. (٤) يدنيه دنواً لو رمى رام حجراً من موضع قبره لوصل إلى بيت المقدس ، وكان موسى إذ ذاك بالتيه . (٥) الكثيب: الرمل المجتمع . (٦) أعلم عما في اعتقاده فلم يكن كذباً . (٧) تنبيهاً له و تعليماً لمن بعده حتى لا يزكوا أنفسهم فيهلكوا ، و عتب الله كناية عن عدم رضاه بذلك . و لذا أمره بالذهاب إلى الخضر للتأدب لا للتعليم .

إذ لم يرد العلم إليه [١] . فأوحى الله إليه أن لى عبداً بمجمع البحرين [٢] هو أعلم منك [٣] . قال موسى : يا رب فكيف لى به ؟ [٤] قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ [٥] فأخذ حوتاً فى مكتل ثم انطلق و معه فتاه يوشع بن نون . حتى إذا أتيا الصخرة [٦] وضعا رؤوسهما فناما ، و اضطرب الحوت فى المكتل ، فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سرباً [٧] وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق « و فى رواية » فى أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شئ إلا حيى ، فأصاب الحوت من مائها فتحرك ، و انسل من المكتل فدخل البحر .

فلما استيقظ موسى نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا[٨] قال: ولم يجد النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله به. فقال له فتاه : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت [٩] . وما أنسانيه إلا الشيطان أن اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجباً، قال فكان للحوت سرباً. ولموسى ولفتاه عجباً.

---

(١) كان يقول الله أعلم . (٢) مجمع البحرين ملتقاهما و هما بحرا فارس و الروم . (٣) بما علمته من الغيوب وحوادث القدر التى لا يعلم الأنبياء منها إلا ما علموا قال صفوتهم صلى الله عليه وسلم : « إنى لا أعلم إلا ما علمنى ربى » و إلا فموسى أعلم من الخضر بأمور التشريع والسياسة ويدل لهذا انى على علم لا تعلمه و أنت على علم لا أعلمه . فانظر كيف أدبه الله على حكم بناه على اعتقاده بالذهاب إلى الخضر . (٤) كيف وصولى إليه . (٥) المكتل : الزنبيل الكبير ، و ثم إشارة للمكان . (٦) التى بمجمع البحرين . (٧) مسلكاً كالسرب أى النفق فقد ورد فى الصحيح « أن الله أمسك عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق . (٨) تعباً و إعياء والتعب إنما كان بعد مجاوزة المكان . (٩) تعجيب لموسى من النسيان مع أنه جعل الفقدان للحوت علامة وجود المطلوب .

قال موسى ذلك ماكنانبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال: رجعا يقصَّان آثارهما حتى انتهياإلى الصخرة فإذارجل مسُجى بثوب[١].فسلم عليه موسى فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام ؟ [٢] قال أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل ؟ قال نعم[٣] . أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا [٤] قال إنك لن تستطع معى صبراً . يا موسى إنى على علم من الله علمنيه لاتعلمه أنت ، وأنت على علم من الله علمك الله لا أعلمه [٥] فقال موسى : ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا[٦]أعصى لك أمرا.فقال له الخضر:فإن اتبعتنى فلاتسألننى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم [٧] أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا فى السفينة [٨] - لم يفجأ إلا و الخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم . فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول [٩] عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرا [١٠] . قال : ألم أقل إنك لن تستطع معى صبراً ، قال لا تؤاخذنى بمانسيت و لا ترهقنى من أمرى عسراً [١١]

---

(١) مغطى به كله . (٢) كأنها دار كفر والسلام غير معروف ، أو دار إيمان ، و تحيتهم غير السلام . (٣) يوخذ منه أن الأنبياء والأولياء لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله، وإلا لعرف الخضر موسى . (٤) راعى غاية الأدب و التواضع فاستجهل نفسه و استأذنه أن يتبعه و سأله أن يرشده و يعلمه مما علمه الله . و لا ينافى طلب موسي من الخضر أن يعلمه - نبوته لأن النبى ينبغى أن يكون أعلم من غيره فى أصول الدين و فروعه لا مطلقاً . (٥) أى كيف تصبر و أنت نبى علي أمور ينكر ظاهرها الشرع و باطنها لم تعلمه . (٦) علق بالمشيئة إما لليمن أو لعلمه بصعوبة الأمر فإن الصبر على غير المعتاد شديد . (٧) موسى و الخضر و يوشع . (٨) الخضر و موسى و لم يذكر يوشع لأنه كان تابعاً كما فى انطلقا . (٩) أجرة . (١٠) منكراً عظيماً . (١١) لا تكلفنى مشقة فى صحبتى لك بل عاملنى بالعفو و اليسر .

قال : و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت الأولى من موسى نسيانا ، قال : وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر من البحر نقرة ، قال له الخضر : ما علمى وعلمك في علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر [١] .

ثم خرجامن السفينة فبينما همايمشيان على الساحل إذ أبصرالخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقدجئت شيئا نكرا[٢] قـال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا، قال: وهذه أشد من الأولى[٣] قال إن سألتك عن شئ بعدها فلاتصاحبنى ، قد بلغت من لدنى عذرا[٤]فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فقال الخضر بيده فأقامه [٥] فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لتخذت عليه أجرا، قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما [٦] .

---

(١) فعلمهما بالنسبة لعلم الله كما أخذه العصفور من البحر . (٢) منكرا عظيما . (٣) لزيادة لك . (٤) أى أعذرتني مرة بعد اخرى فلا اعتذار بعد هذا . (٥) القرية إنطاكية واستطعما أهلها طلبا منهم الطعام بضيافة فأبوا فسارا فرأيا جدارا مائلا يكاد يسقط على من يمر بجواره فأمرَّ الخضر يده عليه فاعتدل . (٦) ولأبى داود : رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر لراى من صاحبه العجب ، ولكنه قال : ان سألتك عن شى بعدها فلا تصاحبنى (تنبيه) بقية القصة (أما السفينة) التى خرقتها فكانت لمساكين يعملون فى البحر) يسترزقون منها (وكان وراءهم) أمامهم (ملك) كافر (يأخذ كل سفينة) صالحة (غصبا) ..(وأما الغلام) الذى قتلته (فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا) فإنه طبع كافرا من نشأته فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما) اوصل للرحم فأبدلهما الله بنتاً تزوجت نبياً فولدت نبياً فهدى الله به أمة عظيمة.(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما) هو ذهب و فضة كما رواه الترمذى (وكان أبوهما صالحاً فأراد =

= ربك أن يبلغا أشدهما و يستخرجا كنزهما رحمة من ربك و ما فعلته) ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام ، و إقامة الجدار (عن أمرى) بل بأمر الله و إلهامه ، و هو من أقوى الأدلة على نبوته (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً) .

قال شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوى: وفى هذه القصة دليل على صحة الاعتراض بالشرع على ما لا يسوغ فيه ، و إن كان مستقيماً فى باطن الأمر إذ ليس فيما فعله الخضر مناقضة للشرع باطناً فإن نقض لوح السفينة لدفع الظالم عن غصبها ثم إذا تركها أُعيد ذلك اللوح جائز شرعاً وقد صرح بذلك فى مسلم حيث قال فإذا جاء الذى يسخرها وجدها متخرقة، وأما الغلام فكان فى الباطن كافراً. وفى مسلم وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً، وأما إقامة الجدار فمن باب مقابلة السيئة بالإحسان .أ هـ .

وقال الإمام الشاطبى فى الموافقات جـ٢ ص ٢٩٦. و أما قصة الخضر عليه السلام وقوله (و ما فعلته عن أمرى) فيظهر به أنه نبى . و ذهب إليه جماعة من العلماء استدلالاً بهذا القول ، ويجوز للنبى أن يحكم بمقتضى الوحي من غير إشكال ، و إن سلم فهى قضية عين ، ولأمر ما (سيشير إليه بقوله) ، (وعلى مقتضى عتاب موسى) وليست جارية على شرعنا ، والدليل على ذلك أنه لايجوز فى هذه الملة لولى و لا لغيره ممن ليس بنبى أن يقتل صبياً لم يبلغ الحلم ، و إن علم أنه طبع كافراً ، و أنه لا يؤمن أبداً ، و إنه إن عاش أرهق أبويه طغياناً و كفراً ، و إن إذن له من عالم الغيب فى ذلك لأن الشريعة قد قررت الأمر و النهى ، و إنما الظاهر فى تلك القصة أنها وقعت على مقتضى شريعة أخرى و على مقتضى عتاب موسى عليه السلام ، و إعلامه أن ثم علماً آخر وقضايا أُخر لا يعلمها هو . أ هـ و ما أحوج الصوفية و المسلمين أن يكثروا قراءة عقيدة الخطيب وشرحها فقد كشفت الحقيقة و أنارت الطريقة و فصلت بين الواصلين و المدعين ، و الحمد لله رب العالمين قال الخطيب فى عقيدته :

وَمَنْ عَصَاهُ وَ الْوِلاَيَةَ ادَّعَى ... وَ لَوْ أَتَى بِالْخَارِقَاتِ انْخَدَعَا
وَ كلُّ مَنْ خَالَفَ مَنْ سَوَّاهُ ... فَإِنَّهُ مُتَّبِعٌ هَوَاهُ
وَمَنْ يُخَالِفَ شَرْعَهُ الَّذِى ظَهَرْ ... وَ يَسْتَحِلَّ فِعْلَهُ فَقَدْ كَفَرْ
وَ مَنْ غَدَا بِبَاطِنٍ يَحْتَجُّ ... فَإِنَّهُ فِى بَاطِلٍ يَلِجُّ
فما لغير الظاهر انتهاجُ ... شرعاً ألم يُقتل به الحلاجُ
ولا تَخَفْ إِنْ تَصْفُ مِنْكَ النِّيَّةْ ... فِي الاعتراضِ مِنْهُمُو أَذِيَّهْ
فَمَنْ دَفَعْتَ عَنْهُ يَدْفَعْ عَنْكَا ... وَهْوَ أَشَدُّ فِى الدِّفَاعِ مِنْكَا
و مَنْ يَقُلْ و لم يُجِنْ سَقَطَا ... تَكْلِيفُهُ فَإِنَّهُ قَدْ سَقَطَا
و إنه شَرٌّ مِنَ الْكُفَّارِ ... و مَا لَهُ إِلاَّ خُلُودُ النَّارِ

٢٤ - قصة الخضر عليه السلام و السائل

عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أحدثكم عن الخضر ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : بينما هو ذات يوم يمشي فى سوق بنى اسرائيل أبصره رجل مكاتب (١) فقال : تصدق على بارك الله فيك فقال الخضر : آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون ، ماعندى من شيئ أعطيكه ، فقال المسكين : أسألك بوجه الله لما تصدقت عليّ ، فإني نظرت السماحة فى وجهك ، و رجوت البركة عندك ، فقال الخضر : آمنت بالله ما عندي شئ أعطيكه . إلا أن تأخذنى فتبيعني فقال المسكين : و هل يستقيم هذا ؟ قال : نعم : أقول لقد سألتنى بأمر عظيم . أما إنى لا أخيبك بوجه ربى . بعنى قال : " فقدمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم ، فمكث عند المشترى زماناً لا يستعمله فى شئ ، فقال : إنما اشتريتنى التماس خير عندى فأوصنى بعمل ، قال اكره أن أشق عليك ، إنك شيخ كبير ضعيف ، قال ليس يشق عليّ قال : قم فانقل هذه الحجارة ، و كان لا ينقلها دون ستة نفر فى يوم - فخرج الرجل لبعض حاجته . ثم انصرف و قد نقل الحجارة فى ساعة قال أحسنت و أجملت و أطقت ما لم أرك تطيقه . قال : ثم عرض للرجل سفر فقال : إنى أحسبك أميناً فاخلفنى في أهلى خلافة حسنة . قال وأوصنى بعمل . قال إنى أكره أن أشق عليك قال ليس يشق عليّ قال : فاضرب من اللبن (٢) لبيتي حتى أقدم عليك - قال فمر الرجل لسفره . قال فرجع الرجل ، و قد شيد بناء . قال : اسألك بوجه الله ما سببك ؟ و ما أمرك ؟ قال سألتنى بوجه

---

(١) المكاتب : أن يتفق العبد مع سيده على أن يؤدى له مالاً منجماً على أقساط و إذا أداه كان حراً .

(٢) اللبن : الطوب الذى يبنى واحده لبنة .

الله ، و وجه الله أوقعنى فى هذه العبودية ، فقال الخضر سأخبرك من أنا : أنا الخضر الذى سمعت به سألنى مسكين صدقة فلم يكن عندى شئ أعطيه ، فسألنى بوجه الله ، فأمكنته من رقبتى فباعني ، و أخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله و هو يقدر وقف يوم القيامة جلده ، و لا لحم له يتقعقع ، فقال الرجل : آمنت بالله شققت عليك يا نبىَ الله . ولم أعلم ، قال : لا بأس أحسنت وأتقنت ، فقال الرجل : بأبى أنت وأمى يا نبى الله احكم فى أهلى ومالى بما شئت أو اختر فأخلى سبيلك. قال : أحب أن تخلى سبيلى فأعبد ربى فخلى سبيله . فقال الخضر : الحمد لله الذى أوثقنى فى العبودية ثم نجانى منها (١) . رواه الطبرانى و غيره قال الحافظ المنذرى فى الترغيب و الترهيب و حسن بعض مشايخنا إسناده ، و فيه بعد .

---

(١) و يستفاد من الحديث : (١) جواز دخول الاسواق و أماكن التجارة و قال ابن العربى المعافرى : فى الأحكام : لما كثر الباطل فى الأسواق و ظهرت فيها المناكر كره علماؤنا دخولها لأرباب الفضل والمهتدى بهم فى الدين تنزيهاً لهم عن البقاع التى يعصى الله فيها . و أما الأسواق فسمعت مشيخة العلم يقولون : لا يدخل إلا سوق الكتب والسلاح . وعندى أنه يدخل كل سوق للحاجة إليه ، ولا يأكل فيه فإن ذلك إسقاط للمروءة. (٢) أن النبى صلي الله عليه وسلم كان يحدث اصحابه بقصص الأنبياء والصالحين لما فيها من تزكية الأخلاق والعبرة. (٣) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستأذن أصحابه في أن يحدثهم تأنيساً لهم وترغيباًفى السماع. (٤)السؤال بوجه الله عظيم لاينبغى لمن سئل به أن يرد السائل خائباً بل يعطيه ماتيسر فقد باع الخضر نفسه لهذا السؤال . و هذا كان جائزاً في شريعته ، وفى شريعتنا لا يجوز أن يبيع نفسه و لاحراً غيره ، و فى الطبرانى بإسناد جيد : ملعون من سأل بوجه الله ، وملعون من سئل بوجه الله، ثم منع سائله ما لم يسأل هجراً ، والهجر : القبيح . فائدة : أخذ الأمام ابن حجر من هذا الحديث أن السؤال بوجه الله ، و عدم إجابته كبيرة ثم قال : لكن لم يأخذ بذلك أئمتنا فجعلوهما من المكروهات و لم يقولوا بالحرمة فضلاً عن الكبيرة ويمكن حمل الحديث فى المنع إذا كان السائل مضطراً لأن منعه مع اضطراره و سؤاله بالله أقبح وافظع ، وحمله فى السؤال علي ما إذا ألحّ و كرر السؤال بوجه الله حتى أضر المسئول وأضجره . أهـ =

٢٥ - عظة الخضر لموسى عليه السلام

قال عمر بن الخطاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال أخي موسى عليه السلام : يا رب أرني الذى كنت أريتنى فى السفينة ، فأوحى الله اليه يا موسى إنك ستراه فلم يلبث الا يسيرا حتى أتاه الخضر ، وهو فتى طيب الريح حسن بياض الثياب مشمرُها فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا موسى بن عمران إن ربك يقرأ عليك السلام قال موسى هو السلام ، واليه السلام ، ومنه السلام ، والحمد لله رب العالمين ، الذى لا أحصى نعمه ، ولا اقدر على أداء شكره الا بمعونته ، ثم قال موسى : أريد أن توصينى بوصية ينفعنى الله بها بعدك ، قال الخضر : يا طالب العلم : إن القائل أقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساءك اذا حادثتهم ، واعلم أن قلبك وعاء فانظر ماذا تحشو به وعاءك ، واعزف عن الدنيا وانبذها وراءك فإنها ليست لك بدار ، ولا لك بها محل قرار وإنما جعلت

= الزواجر بتصرف/ بعض الأحاديث المرغبة في الصدقة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد مالى مالى. وإنما له من ماله ثلاث ماأكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى ماسوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس وقال أيما مسلم كسى مسلماً ثوباً على عرى كساه الله تعالى من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ، وقال إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا بن آدم مرضت فلم تعدنى ، قال كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال أما علمت ان عبدى فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لوعدته لوجدتنى عنده ، يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب وكيف اطعمك وأنت رب العالمين ، قال اما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى يا بن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لو جدت ذلك عندى . أ هـ الزواجر للإمام إبن حجر .

بلغة [١] للعباد ، ليتزودوا منها للمعاد ، ورض [٢] نفسك على الصبر تخلص من الإثم يا موسى تفرغ للعلم إن كنت تريده ، فإنما العلم لمن تفرغ له ، ولا تكن هكارا [٣] بالمنطق مهذارا ، فإن كثرة المنطق تشين العلماء . وتبدى مساوىء السخفاء ، ولكن عليك بالاقتصاد . [٤] فإن ذلك من التوفيق والسداد ، [٥] وأعرض عن الجهال وباطلهم ، واحلم عن السفهاء ، فإن ذلك فضل الحكماء وزين العلماء ، وإذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلما ، وجانبه حزما فإن مابقى من جهله عليك ، وسبه إياك اكثر وأعظم يا ابن عمران ولا ترى أنك أوتيت من العلم الا قليلا فإن الاندلاق والتعسف من الاقتحام والتكلف [٦] يا بن عمران لاتفتحن بابا لاتدرى ما

---

(١) البلغة والبلاغ والتبلغ : ما يتبلغ به من العيش ولا يفضل وقلت :

إِنَّ الكفافَ كِفَايَةٌ لمن الرَّدَى ... لابُدَّ مِنْهُ لَهُ بلاَ مِيعَادِ
واتمُّ خَلْقِ اللّهِ عَقْلاً مُؤْثِرُ ... ذَاتَ الْبَقَاءِ علىَ الَّتِى لِنَفَادِ

(٢) رض : عود وقلتُ في الكافية الكبري :

وعليكَ بِالصَّبْرِ الجميلِ فَإِنَّهُ ... لاتستقيمُ بِغَيْرِهِ دَارَاكَا
وإذا صَبَرْتَ لَقِيتَ أىَّ سَعَادَةٍ ... وإذا جَزِعْتَ لَقِيتَ ما أَشْقَاكَا
فَاصْبِرْ عَلَى الْمحبوبِ عْندَ أَدَائِهِ ... وَاصْبِرْ على الْمكروهِ إذْ يَلْقَاكَا
وَاصْبِرْ على الأسرار وَافرِضْ أَنَّهَا ... مَوْتَى وأَنَّ ضَرِيحَهَا سُودَاكَا
وجزاءُ خَيْرٍ جِنَّتَهُ بِحسابه ... وَجَزَاؤُهُ مِنْ نُونِه وَافَاكَا

(٣) كثيرا عجبك . (٤) القلة فى الكلام . (٥) الصواب وقلتُ :

فَكِّرْ وقُلْ ما كانَ قَوْلُكَ مَغْنَمًا ... وإذا يكنْ غُرْمًا فَأَلْجِمْ فَاكَا
وَإِذَا قَرَيْتَ أَخَا الشتائمِ سَكْتَةً ... خَفَّفْتَ عَنْ جَمِّ الشَّتَّامِ قِرَاكَا
أَفَيَسْتَوِى مَنْ بِالْعَبِيرِ مُضَمَّخٌ ... وَأَخُو أذىً تَشْتَمُّ مِنْهُ سُهَاكَا

القرى : ما يقدم للضيف وقراكا : ظهرك والعبير : اخلاط الطيب والسهاك : الرائحة الكريهة .

(٦) الاندلاق خروج الشيء عن مكانه والتعسف ركوب الأمر من غير روية والاقتحام والتقحم: الهجوم

غلقه، ولا تغلقن بابا لاتدرى ما فتحه ، يا ابن عمران من لاتنتهى من الدنيا نهمته ، ولاتنقضى عنها رغبته ، كيف يكون عابداً ، ؟ ومن يحقر حاله ، ويتهم الله فيما قضى له كيف يكون زاهداً ؟ هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه أو ينفعه طلب العلم، و الجهل قد حواه [(١)] . لأن سفره الى آخرته ، و هو مقبل على دنياه ياموسى تعلم ما تعلمت لتعمل به ، ولاتعلمه لتحدث به فيكون عليك بوره [(٢)] ، ولغيرك نوره يا موسى بن عمران اجعل الزهد والتقوى لباسك ، والعلم والذكر كلامك ، واستكثر من الحسنات فانك تصيب السيآت ، وزعزع بالخوف قلبك فإن ذلك يرضى ربك ، واعمل خيرا فانك لابد عامل سواه قد وعظت ان حفظت فتولى الخضر، وبقى موسى حزينا مكروبا يبكى ، رواه الطبرانى بإسناد رجاله وثقوا الا زكريا بن يحيى الوقار ضعفه غير واحد وذكره ابن حبان فى الثقات ، وذكر انه اخطأ فى وصله والصواب فيه عن سفيان الثورى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ص ١٨٩ خطب الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤلف .

= على الأمر من غير تفكر والتكلف فعل الشيء بمشقة . (١) وقلت :

لايَنْفَعُ الْعِلْمُ مَـــالَمْ ... يَمْلأُ فُـــؤَادَكَ نُورَا

تَرَىَ الْحَقِيقَـةَ فِيـهِ ... وَيَكْشِفُ الدَّيْجُـــورَا

وقلت: لك العلم إنْ حَسَّنْتَهُ بِتُقَاكَا ... وعليكَ إِنْ قَبَّحْتَهُ بِهَوَاكَا

(٢) البور : جمع بائر : مالم يعمر بالزرع فالعلم نتيجته العمل فإذا لم يعمل به فكأنه بور وقلت :

واجعله عَيْنَكَ في أمورِكَ كُلِّهَا ... لاتَنْفَتِحْ إِلاَّ بِهِ شَفَتَاكَا

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لايُفِيدُكَ ذَرَّةً ... إِلاَّ إِذَا أَخْلَصْتَ فِيهِ نَوَاكَا

إِن تاهَ مَوْتَى الجهلِ بالدنيا فتهْ ... بِالْعلم واشكرْ مَنْ بِهِ أحياكا

لاتطلبنَّ به حُطامًا فانيًا ... وَاطْلُبْ بِهِ وَجْهَ الذى سَوَّاكَا

وَاطْرَحْ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ هَوَاكَا ... وَإِذا اتَّبَعْتَ هَوَاكَ مَا أَهْوَاكَا

وَيقَدْرِ مـا أعلاك مُتَقِيًا تُرَى ... فِي السَّافلينَ مُغَايرًا تَقْوَاكَا

٢٦ - قصة النبى الغازى مع الخائن

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : غزا نبى من الأنبياء [١] فقال لقومه لايتبعنى رجل ملك بُضع امرأة ، وهو يريد أن يبنى بها ، ولما يبن بها [٢] ، ولا أحد بنى بيوتا ، ولم يرفع سقوفها ولا آخر اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها [٣] .

فغزا فدنا من القرية صلاة العصر [٤] أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور [٥] اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه ، فجمع الغنائم فجاءت يعنى النارُ لتأكلها فلم تطعمها [٦] فقال إن فيكم غلولا [٧] فليبايعنى من كل قبيلة رجل - فلزقت يد رجل بيده [٨] فقال فيكم الغلول فلتبايعنى قبيلتك - فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال فيكم الغلول- فجاءوا برأس مثل رأس

---

(١) أراد أن يغزو . وهذا النبى هو يوشع بن نون كما فى الخبر . (٢) يريد أنه عقد نكاحها ولم يدخل بها ، والتعبير بلما يشعر بتوقع ذلك ، وفيه أن فتن الدنيا تدعو النفوس إلى الهلع ، وحب البقاء لأن من ملك بضع امرأة ولم يدخل عليها تعلق بالرجوع اليها وشغله الشيطان بالفكر فيها عما هو فيه من طاعة ، وفيه أن الأمور لاتفوض الا لحازم فارغ البال لأن القلب اذا تفرق ضعف عمل الجوارح . (٣) الخلفات جمع خلفة وهى الحامل من النوق ، وأو للتنويع لا للشك . (٤) القرية اريحاء : بلدة بالشام . (٥) الفرق بين الأمرين ان امر العقلاء للتكليف ، وامر غيرهم للتسخير . (٦) لأن الأمم السالفة كانت تغزوا ، وتغنم أموال أعدائها واسلابهم ، ولا تتصرف فيها بل يجمعونها وآية قبول غزوهم أن يبعث الله نارا عليها فتأكلها - وعلامة عدم القبول الا تأكلها ، ومن أسباب عدم القبول أن يقع فيهم الغلول . (٧) الغلول : الخيانة وخصصه الشرع بالسرقة من المغنم قبل القسمة ، وسميت بذلك لأن فيها تغل الأيدى . (٨) فيه حذف يستلزمه التركيب أى فبايعوه فلزقت ، وقد جعل الله ذلك علامة الغلول . وفيه تنبيه على أن هذه اليد عليها حق حق أن تتخلص منه .

بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها . ثم احل الله لنا الغنائم [١] . رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا [٢] رواه البخارى ومسلم حـ ١ ٢٦٠ هدايه البارى .

٢٧ - قصة آمر أولاده بحرقه بعد موته

عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن رجلا كان قبلكم رغسه [٣] الله مالا فقال لبنيه لما حضر [٤] أى أب كنت لكم ؟ قالوا خير أب قال فإنى لم أعمل خيراً قط فإذا مت فأحرقونى - ثم اسـحقونى ثم ذرونى فى يوم عاصف ففـعلوا فجمعه الله عـز وجل فقال : ما حمـلك فتلقاه رحمته . رواه البخارى ومسلم .

وفى رواية [٥] للبخارى عن حذيفة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن رجلا حضره الموت فلما يئس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لى حطبا كثيرا وأوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحمى ، وخلصت الى عظمى فامتحشت[٦] فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوما راحاً فاذروه

---

(١) فيه اختصاص هذه الأمة الكريمة بحل الغنائم وكان ابتداء ذلك غزوة بدر وفيها نزلت الاية (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) وهذا من لطفه بنا اذ أحل الغنائم ، وستر الغلول ، وفضيحة عدم القبول فله الحمد. (٢) يشعر بأن اظهار الضعف للكريم سبب إنعامه العظيم . (٣) رغسه: أعطاه مالا كثيرا وفى رواية رأسه . (٤) حضر: حضره الموت ، وخيرا : طاعة ، وكان نباشا موحدا. (٥) وفى رواية ثم اطحنونى وعاصف: شديد الريح. (٦) امتحشت : احترقت وراحا: شديد الريح ويؤخذ منه ان المرء اذا أشعرقلبه خشيةمولاه وان لم يعمل خيرافى دنياه قد تنفعه خشيته فى أخراه، وليس المراد ان الله جمعه وخاطبه فى الدنيا.بل اخبارعمايكون فى الآخرة قال ابن عقيل ويشهدله حديث أبى بكررضى الله عنه فى الشفاعة ، وفيه يقول الله بعد شفاعة الأنبياء والصديقين والشهداء أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتى من لايشرك بى شيئافيدخلون الجنة، ثم يقول الله عز وجل: انظروا فى النار =

فى اليم ففعلوا فجمعه الله فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال من خشيتك فغفر الله له .

٢٨ - قصة التائب [١] مع ربه تبارك وتعالى

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل قال أذنب عبد ذنبا فقال : اللهم اغفر لى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب [٢] ثم عاد فأذنب فقال : أى رب اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى : عبدى أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أى رب اغفر لى ذنبى فقال : تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك [٣] رواه البخارى ومسلم .

= هل تلقون احدا عمل خيرا قط قال فيجدون فى الناررجلا فيقولون : هل عملت خيرا قط ؟ فيقول: لاغير أنى كنت أسامح الناس فى البيع فيقول الله عز وجل اسمحوالعبدي كإسماحه الى عبيدى. ثم يخرجون من النار رجلا فيقول له: هل عملت خيرا قط ؟ فيقول لا،غير أنى أمرت ولدى اذا أنامت فأحرقونى بالنارثم اطحنونى حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوابى الى البحرفاذرونى فى الريح فوالله لايقدرعلى رب العالمين أبدا،فقال الله عز وجل له:لم فعلت ذلك؟ قال من مخافتك فيقول الله عز وجل:انظروالى ملك اعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله،قال فيقول:لم تسخر بى وأنت الملك ؟ فضحك النبى صلى الله عليه وسلم . رواه احمد وأبو يعلى والبزار بأسانيد ثقات . (١) التوبة هى الرجوع الى الله تعالى،وشروطها ثلاثة الإقلاع عن الذنب أى البعد عنه، والندم على ماحصل والعزم على ان لا يعود اليه أبدا، وان كان الذنب يتعلق بآدمي زيد عليها شرط رابع. وهو رد الحقوق الى أصحابها أواستسماحهم منهاتفصيلا عندالجمهورواجمالاعند المالكيةوهذاأستروليس الزناونحوه مما يحتاج الى مسامحة فقد يؤدى طلبها الي مفاسد كثيرة ،ويكفى أن يتوب ويستر على نفسه. إتحاف الآثام.(٢) يعاقب عليه.(٣) فلماعلم الله من عبده دوام الاعتراف به وأنه لايغفر الذنوب غيره-غفر له كل ذنوبه وفيه ان من تكررت ذنوبه وتاب عقب كل ذنب قبله الله بل أحبه لكثره توبته ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وكذا لو تاب مرة واحدة بعدجميع الذنوب قبله الله وعفا عنه لانه أولى من الكافر الذى يقبله الله إذاأسلم . وفيه أن التوبة فرض على الذنب فى الحال لئلا يفجأه الموت فتفوته.

وعن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:لله أشد فرحابتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه[١]،وعليهاطعامه وشرابه فأيس منهافأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قدأيس من راحلته فبيناهو كذلك إذاهوبهاقائمة عنده فأخذ بخطامها[٢].ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأناربك.اخطأمن شدة الفرح.رواه البخارى ومسلم والترمذى .

٢٩ – قصة الملائكة وأهل الذكر مع ربهم

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر (٣) فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل – تنادوا هلموا الى حاجتكم (٤) ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا(٥) . قال : فيسألهم (٦) ربهم وهو أعلم بهم ، مايقول عبادى ؟ قالوا :

---

(١) الفلاة : الصحراء وانفلتت : شردت . (٢) والخطام : الزمام الذى تقاد به . وفى الجامع الصغير بسند ضعيف : لله أفرح بتوبة عبده من الظمآن الوارد ، ومن العقيم الوالد ، ومن الضال الواجد ، فمن تاب الى الله توبة نصوحا أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه،وقلت :

يَا صَاحِ تُبْ مِمَّا جَنَيْتَ وَقَدِّمَنْ ... زَادَ التُّقَى وَانْفُضْ غُبَارَ كَرَاكَا

إِنَّ الصُّوَى لِلَّهِ جِدُّ مُضِيئَةٍ ... بِاللهِ لاتَطْمِسْ ضِيَاءَ صُوَاكَا

شَمِّرْ إِلَيْهِ وَخَلِّ نَفْسَكَ مُقْبِلاً ... وَاطْرَحْ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ هَوَاكَا

(٣) ومنه بل أفضله مدارسة القرآن والعلم تعلما وتعليما . (٤) اصبتموها فاقبلوا عليها . (٥) يحدقون بهم و يستديرون حولهم إلى أن يملأوا ما بينهم و بين السماء الدنيا . (٦) و كان سؤال الله للملائكة عنهم مع علمه بهم لإظهار فضلهم و مباهاتهم بهم : أى انظروا إليهم كيف قدسونى وسبحونى و مجدونى مع شهواتهم و وساوس الشيطان فضاهوكم في طاعتى .

يسبحونك و يكبرونك و يمجدونك قال : فيقول هل رأونى ؟ فيقولون : لا و الله ما رأوك . قال : فيقول كيف لو رأونى ؟ قال : يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة و أشد لك تمجيداً و تحميداً ، و أكثر لك تسبيحا . قال : فيقول فما يسألوننى ؟ قالوا يسألونك الجنة . قال يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا . والله يا رب ما رأوها . قال : يقول فكيف لو أنهم رأوها . قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حِرصاً ، و أشدَّ لها طلباً ، و أعظم فيها رَغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال يقولون من النار . قال : يقول : و هل رأوها ؟ قال يقولون : لا و الله يا رب ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً . وأشد لها مخافة . قال : فيقول : فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال : يقول : ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم [١] . رواه البخارى و مسلم

٢٠ - قصة زائر أخيه فى الله

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلاً زار أخاً له فى قرية فأرصد [٢] الله تعالى على مدرجته ملكاً - فلما أتى عليه (اتى الرجل على الملك)

---

(١) المراد أن مجالستهم مؤثرة فى جليسهم ، و هو مشاركهم فى منحهم و إن لم يشاركهم فى عملهم ، و قلت فى مجامع الأنوار :

وَالمرءُ يُعْصَمُ فِي الْجماعَةِ عَنْ أذىً ... و إذا خَلاَ شَيْطَانُهُ اسْتَهْوَاهُ
و اللّهُ قَدْ مَنَحَ الْجماعَةَ عِزَّهُ ... وَ أذَلَّ مَنْ عن جَمْعِهِ أقْصَاهُ
يَهَبُ النَّسِيءَ لِذَاكِرِيهِ تَفَضُّلاً ... إنْ كَانَ بَيْنَهُمُو فَمَا أنْدَاهُ

(٢) أرصد :اقعد، مدرجته : طريقة، تربها - تقويها. حب الله لعبده : رضاه عنه وإيصال خيره إليه . و حاصل المعنى أن رجلاً زار أخاه فى بلدته فأقعد الله له فى الطريق ملكا يخبره بأن الله أحبه كما =

قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا . غير أني أحببته في الله . قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته في الله . رواه مسلم

= أحب صاحبه فيه .

و يؤخذ منه : أولاً : فضل الأخوة الخاصة في الله كأن يجتمعا على مدارسة علم ، و المتحابان في الله ممن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله . ثانياً : أن الأخوة في الله تستوجب رضاه عنهما ومحبته لهما و من كان حبه لأخيه أكثر كان حب الله له أكثر . ففي الحديث - ما تحاب رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله عز و جل أشدهما حباً لصاحبه . رواه الطبراني و أبو يعلى . ثالثاً فضل زيارة الاخوان و التردد على الصالحين لأنه يقوي الرابطة و يزيد في الصلة . قال صلى الله عليه وسلم - من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد بأن طبت و طاب ممشاك ، و تبوأت من الجنة منزلاً . رواه الترمذي بسند حسن و في الحديث إذا عاد أحدكم مريضاً فلا يأكل عنده شيئاً فإنه حظه من عيادته . رواه الديلمي . رابعاً : تكليم الملائكة للرجل الصالح و إن لم يكن نبياً . فقد كلمت الملائكة مريم ، و سلمت على عمران بن حصين و قلت :

أُرِيدُ صَدِيقاً غافِراً ذَنْبِيَ الذى ... يكونُ ولو عَمْداً ، وَ يَرْعَى وِدَادِيَا
يُعَادِي الذى عادَيْتُ فى اللّهِ وَحْدَهُ ... وَ يُلْفيَ لِمَنْ صَافَيْتُ فيه مُصَافِيَا
و يَسْكُنُ فِي قَلبِي و أسكُنُ قَلْبَهُ ... و إِنْ يتكدَّرْ بَعْضُ وُدِّى صَفَا لِيَا
يُبَيِّنُ لِي عَيْبِي لِأَحْذَرَ غِبَّهُ ... و أَبْدِي له مِنْ عَيْبِهِ ما بَدَا لِيَا
وَ نَجْعَلُ تَقْوَى اللّهِ سِرَّ بَقَائِهَا ... بِيَوْمٍ تَرَى الْخِلاَّنُ فِيهِ أَعَادِيَا
وَيَشْرَحُ صَدْرِي أَنْ أَرَى الْخِلَّ مخلصاً ... و يَقْبِضُ نَفْسِي أَنْ أراهُ مُدَاجِيَا
أَتَطْلُبُ مِنيِّ مَحْضَ وُدِّى وإِنَّنِى ... رأيتُ صفاءَ الوُدِّ لِي عَنْكَ نَائِياً
و ما أَنْتَ راءٍ مِنْ صديقِكَ مُخْلِصاً ... إذا لم يكنْ إِخْلاصَكَ الْخِلُّ رَائِيَا

و قلت :

يذل الْفتى عن إِخْوَةِ الصِّدْقِ مُفْرَدًا ... وَجَمُّ الصَّدِيقِ الْأَوفِيَاءِ عَزِيزُ
تكثر مِنَ الْإِخْوانِ وَ اعْرِفْ حُقُوقَهُمْ ... فَإِنَّ مَوَدَّاتِ الرِّجَالِ كُنُوزُ

٣١ - قصة ذى الكفل (١)

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول حديثاً أكثر من سبع مرات سمعته يقول : كان الكفل من بنى اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله ، فأتته امرأ ة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها - فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت و بكت فقال - ما يبكيك ؟ أأكرهتك ؟ قالت - لا . و لكنه عمل ما عملته قط و ما حملنى عليه إلا الحاجة . فقال - تفعلين أنت هذه وما فعلته ؟ اذهبى فهى لك . و قال لا و الله لا أعصى الله بعدها أبداً . فمات من ليلته . فأصبح مكتوباً على بابه إن الله قد غفر للكفل . رواه الترمذى .

---

(١) ذو الكفل هذا غير النبى . فإن الأنبياء معصومون قبل النبوة و بعدها عن صغير المعاصى وكبيرها ، و هذا لم يفعل إلا توبته الخالصة و تركه الزنا ليلة وفاته .

و يؤخذ منه استحباب إعادة الحديث ، و تكرار الموعظة ليحفظ ، و تمكن الموعظة ، و فى صحيح ابن حبان أن ابن عمر سمعه أكثر من عشرين مرة . و يؤخذ منه حب الله توبة العاصين المخلصين ، وعنايته بهم إذا أقبلوا إليه نادمين و هو أشد فرحاً بها من الضال الواجد و العقيم الوالد ، و الظمآن الوارد . و يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ، و بالنهار ليتوب مسئ الليل . فاللهم اجعلنا تائبين إليك مخلصين لك موفقين لما تحب ، و يحب رسولك صلى الله عليه وسلم آمين . وقلت فى رباعيات الخطيب ، و هو من أقيم الكتب فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم :

خُــذْنَا إِلَيْكَ رَبَّنَا	وَاجْـمَعْ عليْكَ قَلْبَنَا
وَ فِـيكَ وَحِّـدْهَمَّنَا	وَالْطُفْ بِنَا اللُّطْفَ التَّمَامْ
إِنْ لم تَكُنْ لِمَنْ عَـصَـا	قَـبْلَ الذى قَـد أَخْلَصَـا
مِنْ أَيْنَ نَلْقَى الْخَلَصَـا	السِّلْمَ فَـضْـلاً يَا سَـلامْ
يا مُـوجِـدَ مِن عَـدَم	يا مُـولِيـاً للنِّعَمِ
فَـضْـلاً جَـمِيعَ الأُمَمِ	لنا أَنِلْ حُـسْنَ الْخِـتَـام

٣٢ - قصة آدم وملك الموت و داود عليهم السلام

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لما خلق الله آدم و نفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله بإذنه . فقال له ربه : رحمك الله يا آدم : اذهب إلى هؤلاء الملائكة - إلى ملأ منهم جلوس . فقل السلام عليكم . قالوا و عليك السلام و رحمة الله . ثم رجع إلى ربه فقال : إن هذه تحيتك و تحية بنيك بينهم فقال الله له ، و يداه مقبوضتان - اختر أيتهما شئت . قال : اخترت يمين ربى و كلتا يدى ربى يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم و ذريته . فقال أى رب ما هؤلاء؟ فقال هؤلاء ذريتك فإذا كل انسان مكتوب عمره بين عينيه . فإذا فيهم رجل أضوأهم ، أو من أضوئهم . قال : يا رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود قد كتبت له عمر اربعين سنة . قال : يا رب زده فى عمره - قال ذاك الذى كتبت له - قال أى ربِّ فإنى قد جعلت له من عمرى ستين سنة. قال- أنت وذاك[1] قال - ثم أسكن الجنة ما شاء الله . ثم اهبط منها فكان آدم يعد لنفسه - قال فأتاه ملك الموت [2] فقال له آدم قد عجلت قد كتب لى ألف سنة . قال : بلى و لكن جعلت لابنك داود ستين سنة . فجحد فجحدت ذريته ، و نسى فنسيت ذريته [3] قال - فمن يومئذ أمر بالكتاب و الشهود [4] رواه الترمذى .

---

(١) قد أمضيته لك . (٢) يريد قبض روحه . (٣) بيان الجحد قال الله تعالى - ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى و لم نجد له عزماً . (٤) قال الله تعالى - و أشهدوا إذا تبايعتم و لا يضار كاتب ولا شهيد . و يؤخذ منه . أن الحياة محبوبة ، و أن الكتابة والشهود مطلوبة خشية النسيان أو تلاعب الشيطان ، و الله الموفق و المستعان ، و قد أشار إلى هذه القصة وقصة أهل الكهف و موسى مع ملك الموت أبو العلاء المعرى فى سقط الزند إذ يقول :

و خوفَ الرَّدَى أوىَ إلى الكهفِ أهلَه ... وعَلَّمَ نُوحاً وَ ابْنَهُ عَمَلَ السُّفْنِ

و ما استْعذبته روحُ موسى وآدم ... وقد وعدا من بعده جنتى عَدْنِ

٣٢ - قصة ماشطة بنت فرعون

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما أسرى بى مرت بى رائحة طيبة فقلت - ما هذه الرائحة ؟ قالوا : ماشطة [1]

---

(١) الماشطة - من تسرح الشعر بالمشط وفرعون - لقب لملوك مصر وليس خاصاً بصاحب موسى . و لا تقاعسى - لا تتأخرى . و فى هذه القصة بيان قسوة الفراعنة مع الضعاف و الخدم . و بيان أن الإيمان إذا خالط القلوب هان علي صاحبه العذاب فهذه المرأة ألقى أولادها فى حلة النحاس المملوءة بالزيت المغلى واحداً واحداً لعلها ترجع فلم تفعل ، و بيان خرق العوائد كرامة إذ نطق الرضيع حاثاً أمه على الإقدام . لتلقى الموت الزؤام . فى سبيل الله تعالى .

(فائدة) لا ينافى كون المتكلم و هم صغار أربعة كما في هذا الحديث

- الزيادة عن هذا العد د . لأن مفهوم العدد لا ينفى الزيادة ، و قد تقدم فى التعليق علي قصة الغلام و الملك و الساحر أنهم ثلاثة عشر . و قلت فى إثبات كرامات الأولياء أكانوا أمواتاً أم أحياء :

مَنْ قَالَ إِنَّ الأَوْلِيَا مَوْتَى افْتَرَى ... أَنَّى وَ هُمْ فِي حُبِّهِ شُهَدَاءُ

نَامُوا عَنِ الدُّنْيَا و ما فيها وقد ... قَامُوا لِمَنْ قَامَتْ بِهِ الأَشْيَاءُ

هُمْ جاهدُوا فِي اللهِ حقَّ جِهَادِهِ ... فَلَهُمْ هُنَا ، وَ هُنَاكَ ما قَدْ شَاءُوا

يا مُنْكِراً لَهُم الكرامَةَ بَعْدَ أَنْ ... سَكَنُوا الضَّرِيحَ وَ هُمْ بِهِ أَحْيَاءُ

أَتُجِيزُهَا و الجسمُ يَحْبِسُ رُوحَهُ ... وَتَكُفُّهَا وَ الحبسُ مِنْهُ فَضَاءُ

إِنَّ الْكَرَامَةَ فِعْلُهُ سُبْحَانَهُ ... و الحيُّ و الْمَقْبُورُ فِيهِ سَوَاءُ

و لقد تكونُ بِقَصْدِهِمْ ، وَبِغَيْرِهِ ... جَمَّتْ ، و قد يُلْفِي بِهِ إِلْجَاءُ

و لقد يُثَبِّتُ مُبْتَدِينَ بِجَمِّهَا ... و المنتَهُونَ لَهُمْ بِهِ اسْتِغْنَاءُ

ليست بِمَطْمَحِهِمْ وَإِنْ ظَهَرَتْ فكم ... فَرُّوا إِلَيْهِ وَسِرُّهُمْ إِخْفَاءُ

عُبَّادُ حَضْرَتِهِ ، و أَهْلُ وِدَادِهِ ... ولمن أرادَ نَجَاتَهُ شُفَعَاءُ

مَنْ زَارَ فِيَّ أَحِبَّتِي أَحْبَبْتُهُ ... وَقِرَاهُ عِنْدِي رَوْضَةٌ وَرِضَاءُ

ولمن يُوَالِيهِمْ مُوَالاتِي وَمَنْ ... عَادَاهُمُو مِنِّي لَهُ الْهَيْجَاءُ

فَأَحِبَّهُمْ فِيهِ وَزُرْهُمْ وَارْجُهُ ... مُتَشَفِّعاً يَخْضَعْ إليكَ رَجَاءُ =

بنت فرعون و أولادها سقط مشطها من يدها فقالت بسم الله . فقالت ابنة فرعون أبى ؟ قالت ربى و هو ربك و رب أبيك قالت : أو لك رب غير أبى ؟ قالت نعم . فدعاها فقال - ألك رب غيرى ؟ قالت - نعم . ربى و ربك الله . فأمر ببقرة من نحاس فاحميت ثم أمر بها لتلقى فيها و أولادها فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعا فيهم فقال : قعى يا أمّ و لا تقاعسى فإنك على الحق . قال - و تكلم أربعة وهم صغار هذا ، و شاهد يوسف ، و صاحب جريج و عيسى بن مريم . رواه أحمد و البزار و ابن حبَّان و الحاكم و غيرهم .

٢٤ - قصة يحيى و عيسى عليهما السلام و الكلمات الخمس

عن الحارث الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى أمر يحيي بن زكرياءَ عليهما السلام بخمس كلمات أن يعمل بها ، وأن يأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بها ، و أنه كاد أن يبطئ بها . فقال له عيسى عليه السلام . إن الله أمرك بخمس كلمات ان تعمل بها . و تأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بها ، فإما أن تأمرهم بها ، و إما أن آمرهم أنا بها ، فقال يحيي عليه السلام : أخشى إن سبقتنى بها أن يخسف بى أو أعذب - فجمع الناس فى بيت المقدس فامتلأ المسجد و قعدوا على الشرف (١) فقال : إن الله أمرنى بخمس كلمات ان اعمل بهن ، وأن أمركم أن تعملوا بهن. أو لهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً ، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من

= أو مَا تَشفَّعَ بالنبىِّ بِأَمْرِهِ   أَعْمىَ فَعادَ كَأَنَّهُ الزَّرقَاءُ

وَ هُمُوُ على مِنْهَاجِهِ كُلٌّ لَهُ   مِنْهُ على مِقْدَارِهِ إِغْنَاءُ

زرقاء اليمامة كانت تبصر مسيرة ثلاثة أيام . (١) جمع شرفة ما أشرف من بنائه .

خالص ماله بذهب أو ورق ، و قال : هذه داري ، و هذا عملي فاعمل و أدِّ إليَّ - فكان يعمل و يؤدِّي لغير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك (١) .

و إن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت (٢) .

وامركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة، معه صرة فيهامسك ، وكلهم يعجبه ريحها ، وان ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك (٣) . وامركم

---

(١) لا يرضى بذلك أحد فكيف يرضى الله ، و الشرك أكبر الكبائر و لا يقبل معه عمل صالح : و لا يغفر لصاحبه قال الله تعالى : (إن الله لايغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال الله تعالى « إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار و ما للظالمين من أنصار » . (٢) قال الإمام أحمدبن عطاء الله الإسكندري: الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب ، الصلاة محل المناجاة ، و معدن المصافاة ، تتسع فيها ميادين الأسرار ، و تشرق فيها شوارق الأنوار ، علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها . و علم احتياجك إلى فضله فكثر امدادها و قلت :

إنّ الصَّلاةَ طهَارةٌ لِقُلُوب ... وَبِها انْكِشَافُ سَرَائِرٍ وَ غُيُوبِ
ناجي بها اللهُ العبادَ كما بِهَا ... ناجوا لإجلال أجلَّ مجيب
قَلَّتْ فَرَائِضُهَا لِضَعْفِ عِبَادِهِ ... وَ جَزَاؤُهَا جَمٌّ بِفَضْلِ مُثِيبِ

(٣) وقلت في الكافيةِ الكبرى :

هُوَ جُنَّةٌ مِنْ جنَّةٍ وَمِنَ الَّتِي ... تُبْدِى الْمَوَدَّةَ وَهْىَ شَرٌّ عِدَاكَا
تصفو النفوسُ بِهِ، وَيَنْبَعِثُ التُّقَى ... مِنْهُ، وَتَكْسِرُ فِيهِ شَرَّ هَوَاكَا
وَيُضِيءُ قَلْبَكَ فَالْمَعَارِفُ جَمَّةٌ ... تَتْرَىَ إِلَيْكَ وَزَادَ فِيهِ نُهَاكَا
وَيَصِحُّ جِسْمُكَ مِنْ مُقِيمٍ مُقْعِدٍ ... وَيَزِيدُ فِيهِ اللّهُ مِنْ إِدْنَاكَا
وبِهِ اعْتِيادُ فَضِيلَةِ الصَّبْرِ الَّتِى ... لاتستقيمُ بِغَيْرِهَا دَارَاكَا
سِمَةُ الْكَرِيمِ وَأَنْتَ أَوْسَمُ خَلْقِهِ ... إِنْ تَدْنُ مِنْ سِيمَائِهِ سِيمَاكَا
لو لم تَذُقْ رَبَّ الثَّرَاءِ بِهِ الطَّوَى ... لم يُحْبَ ذوُ الحَاجَاتِ بَعْضَ ثَرَاكَا
لَكَ فَرْحَتَانِ ، فَعِنْدَ فِطْرِكَ فَرْحَةٌ ... وَالْفَرْحَةُ الْكُبْرَىَ لِقَامَوْلاكَا
وَلَرِيحُ فِيكَ ، وَإِنْ تَغَيَّرَ عِنْدَهُ ... لَيَفُوقُ رِيحُ الْمِسْكِ ما أَنْكَاكَا

بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه الى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه فقال أنا أفدى نفسى منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم [١] . وآمركم أن تذكروا الله ، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، وكذلك العبد لايحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى[٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم : وأنا آمركم بخمس . الله تعالى أمرنى بهن السمع والطاعة والجهاد ، والهجرة والجماعة فإن من فارق الجماعة [٣] قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوى الجاهلية [٤] فهو فى جهنم . فقال رجل : وإن صام وصلى يا رسول الله–

الجنة : الوقاية ، والسمة : الصفة والطوى : الجوع (١) وكم فى الصدقة من آثار . (٢) قال الله تعالى : ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، وقال سبحانه : فاذكرونى أذكركم وقال جل شانه : ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، وقلت فى مجامع الأنوار :

مَا الحيُّ إلَّا ذاكرى لِجَلَالتِي	مَا الميتُ إلَّا تَارِكِي لِهَوَاهُ
إنى لَأذكُرُ مَنْ غَدَا مُتَذَكِّرِى	إِنِّي لَأنْسَى مَنْ غَدَا يَنْسَاهُ
وله أُقَيِّضُ مَارِدًا لَايَنْثَنِي	عَنْ دَعِّهِ فِيمَا يَحِقُّ لَظَاهُ
وَأَصَدُّهُ عَنِّي ، وَأُبْعِدُ رَحْمَتِى	عَنْهُ ، وَأَقْرِنُهُ بِمَنْ أَرْدَاهُ
سَبَقَ الَّذِى بِالذِّكْرِ أَفْرَدَ رَبَّهُ	وَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الذى وَلَّاهُ

وقال صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم بخير أعمالكم وازكاها عند مليككم ، وارفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله ، قال ذكر الله . رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى ومسلم . وفى مجامع الأنوار ، للخطيب ، واتحاف الأخيار له كثير من فوائده ، (٣) مفارقة الجماعة : ترك السنة واتباع البدعة ، وقيد شبر : قدره وربقة الاسلام – استعارة لما لزم العنق من حدوده وأحكامه ، واصل الربقة عروة فى حبل تجعل فى عنق البهيمة أو يدها تمسكها وجمعها ربق . (٤) دعوى الجاهلية – قولهم يا لفلان كانوا يدعون بعضهم فى الشدائد .

قال : وان صام وصلى . فادعوا بدعوى الله (١) الذى سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله . رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح . اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام للمؤلف .

٢٥ - قصة العابد خمسمائة عام على رأس جبل فى وسط البحر

عن جابر رضى الله عنه . قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : خرج من عندى خليلى جبريل آنفا فقال : يا محمد والذى بعثك بالحق : ان لله عبدا من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل فى البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا فى ثلاثين ذراعا ، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية ، وأخرج له عينا عذبة بعرض الإصبع تفيض بماء عذب فيستنقع (٢) فى اسفل الجبل ، وشجرة رمان تخرج فى كل ليلة رمانة يتعبد يومه فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها . ثم قام لصلاته فسأل ربه عند وقت الأجل ان يقبضه ساجدا ، وأن لايجعل للأرض ، ولا لشيء يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه الله وهو ساجد ، قال : ففعل ، فنحن نمر عليه اذا هبطنا ، واذا عرجنا فنجد له فى العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله ، فيقول له الرب أدخلوا عبدى الجنة برحمتى ، فيقول ربى بل بعملى ، فيقول الله : قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة . وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه . فيقول : أدخلوا عبدى النار فيجر الى النار ، فينادى ربٍّ برحمتك أدخلنى الجنة ، فيقول : ردوه ، فيوقف بين يديه فيقول : يا عبدى من خلقك ، ولم

---

(١) دعوى الله - كلمة الشهادة التى دعى اليها الأمم . (٢) يجتمع .

تك شيئا؟ فيقول : أنت يا رب ، فيقول : من قواك لعبادة خمسمائة سنة؟ فيقول - أنت يارب ، فيقول - من أنزلك من جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من المالح ، وأخرج لك كل ليلة رمانة ،، وإنما تخرج مرة فى السنة ، وسألته أن يقبضك ساجدا ففعل ؟ فيقول - أنت يارب . قال - فذلك برحمتى وبرحمتى أدخلك الجنة ، أدخلوا عبدى الجنة ، فنعم العبد كنت يا عبدى فأدخله الله الجنة قال جبريل - إنما الأشياء برحمة الله يا محمد (١) . رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد إتحاف الأنام بخطب رسول الاسلام للمؤلف . ص ٣٤٥ .

٣٦ - قصة الظالم والمظلوم يوم القيامة

عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال له عمر ما أضحكك يا رسول الله ؟ بأبى أنت وأمى ، قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من أخى، فقال الله كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء ؟قال يارب

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لن يدخل أحدا عمله الجنة ، قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضله ورحمته فسددوا وقاربوا ، ولا يتمنين أحدكم الموت اما محسنا فلعله ان يزداد خيرا واما مسيئا فلعله ان يستعتب . متفق عليه ، والمراد أن العمل ليس موجبا للدخول وإنما هو سبب عادى فلا ينافى قوله تعالى - تلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون . ويتغمدنى - يلبسنى ويسترنى ، وسددوا - اجعلوا أعمالكم صوابا بالإخلاص وموافقة الشرع وقلت -

رَسَمَ الطَّرِيقَ لَهُ فَمَنْ يَتَعَدَّهُ   لَايَبْلُغَنَّ جَنَابَهُ مَهْمَا سَرَى

وقاربوا - لاتفرطوا فتجهدوا أنفسكم فى العبادة فتملوا فتفرطوا ويستعتب - يطلب إرضاء الله بالتوبة ورد المظالم وتدارك الفائت .

فليحمل من أوزارى (١) . وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال : إن ذلك اليوم ليوم عظيم يحتاج الناس الى أن يحمل من أوزارهم فقال الله للطالب : ارفع بصرك فانظر فرفع فقال : يارب أرى مدائن من ذهب ، وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا ؟ أو لأى شهيد هذا ؟ قال لمن أعطى الثمن - قال يارب ومن يملك ذلك ؟ قال أنت تملكه . قال بماذا ؟ قال بعفوك عن أخيك قال يارب إنى قد عفوت عنه . قال الله تعالى : فخذ بيد أخيك وأدخله الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك . اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المسلمين . رواه الحاكم ، والبهيقى فى البعث وقال صحيح الإسناد إتحاف الأنام ص ١٧٦ .

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لأحد من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لايكون دينار ولادرهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم تكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل بمسكنه كان فى الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم : من قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها رواها البخارى . ويتحلله : يسأله أن يجعله فى حل ويسامحه ويتقاصون من القصاص ، والمراد به تتبع ما بينهم من المظالم ، وإسقاط بعضها ببعض والمقاصة بالحسنات والسيآت ، ولا يدخل أحد الجنة وعليه تبعات لأحد . ونقوا من التنقية ، وهذبوا : خلصوا من الآثام . وانما كانوا أعرف بمساكنهم فى الجنة من مساكنهم فى الدنيا لأنها كانت تعرض عليهم فى البرزخ بالغداة والعشى .

٢٧ - قصة أبى زرع وأمه

عن أبى هريرة قال : اجتمع إحدى عشرة امرأة فى الجاهلية فتعاقدن أن يتصادقن بينهن ، ولا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا [١] فقالت الأولى : زوجى لحم جمل غث على رأس جبل وعر ، لاسهل فيرتقى ولا سمين فينتقل [٢] .

قالت الثانية : زوجى لا أبث خبره إنى اخاف أن لا أذره ، إن اذكره أذكر عجره ، وبجره . [٣]

قالت الثالثة : زوجى العشنق إن أنطق ، أطلق وان أسكت أعلق [٤] .

قالت الرابعة : زوجى إن أكل لف ، وإن شرب اشتف ، وان اضطجع التف ولا يولج الكف ليعلم البث [٥] .

قالت الخامسة : زوجى عيا ياء طباقاء ، كل داء له داء شجك أو فلك أو جمع كلا لك [٦] .

---

(١) وعن الزبير بن بكار عن عائشة ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده بعض نسائه فقال يخصنى بذلك يا عائشة : أنا لك كأبى زرع لأم زرع ، قلت يا رسول الله ما حديث أبى زرع وام زرع ؟ قال ان قرية من قرى اليمن كان بها بطن من بطون اليمن وكان منهن إحدى عشرة امرأة ، وانهن خرجن الى مجلس فقلن تعالين فلنتكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب ،ففيه نكر قبيلتهن وبلادهن)

(٢) الغث : المهزول . يرتقى : يصعد اليه ، وينتقل - لا ينقله احد لغثاثته ورداءته . (٣) العجر جمع عجرة . العروق المنعقدة فى الظهر ، والبجر جمع بجرة العروق المنعقدة فى البطن ارادت ظاهر أمره وباطنه ، وقيل عيوبه . (٤) العشنق : الطويل ، وقيل سىء الخلق ، وانطق أى بعيوبه وأعلق : يتركنى معلقة لامطلقة فاتزوج ، ولا ذات بعل فانتفع به أرادت انها سيئة الحال عنده لأنها ان شكت له حالها طلقها وان سكتت كانت عنده كالمعلقة . (٥) لف : أكل كثيرا لشرهه واشتف : شرب جميع ما فى الإناء ولا يولج الكف فى ثيابها ليلاعبها ، والبث أشد الحزن والمرض الشديد . (٦) العيا ياء : العنين الذى يعجز عن الجماع ، والطباقاء : الذى يعجز عن الكلام ، وشجه : جرحه وشقه والفل : الكسر .

قالت السادسة : زوجي كليل تهامة ، لاحر ولاقر ،ولا مخافة ولا سآمة (١) .

قالت السابعة : زوجي ان دخل فهد ، وان خرج أسد ، و لا يسأل عما عهد (٢) .

قالت الثامنة : زوجي المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب ، وأنا أغلبه والناس يغلب (٣) .

قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد (٤) .

قالت العاشرة : زوجي مالك ، وما مالك ؟ مالك خير من ذلك ، له إبل قليلات المسارح ، كثيرات المبارك ، إذا سمعن صوت المزاهر أيقن أنهن هوالك (٥) .

قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ أناس (٦) من حلى

---

(١) كليل تهامة :معتدل . وتهامة : مكة وما حولها ، والقر : البرد . (٢) وفهد : أشبه الفهد فى وثوبه وكسبه وأسد : أشبه الأسد فى شجاعته وعهد : علمه فى البيت من طعام وشراب ونحوهما لسخائه وصفته بأداء حقها وشجاعته وسخاوته . (٣) الزرنب : نوع من الطيب : وصفته بلين الجانب ، وحسن الخلق . (٤) العماد : الخشبة التى يقوم عليها البيت ارادت ان بيته شريف ، والنجاد : حمائل السيف أى طويل القامة والرماد – كناية عن كرمه ، والنادى – المجلس وأهله . (٥) المزاهر جمع مزهر : عود الغناء اى إذا سمعت صوته فرحا بالضيفان . (٦) أناس : البسها الأقراط والشنوف وأصله النوس وهو تحرك الشىء متدليا العضد : ما بين الكتف والمرفق ، وبجحنى : فرحنى وقيل عظمنى والشق: الموضع الضيق ، والأطيط : صوت الإبل ، والمراد أنها كانت فى بيت قلة فنقلها الى بيت كثرة والدائس : الذى يخرج الحب من السنبل بالدق والدرس ، والنقيق الصوت ، أرادت صوت المواشى والأنعام ، وأتصبح أنام أول النهار ، وأتقمح : أروى من الشراب ، وأرفع رأسى .

انني ، ملأ من شحم عضدى ، وبجحنى فبجحت الى نفسى وجدنى فى أهل غنيمة بشق فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق ، فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقمح أم أبى زرع ، وما أم أبى زرع . عكومها رداح ، وبيتها فساح (١) .

ابن أبى زرع وما ابن أبى زرع مضجعه كمسل شطبة ، وتشبعه ذراع الجفرة (٢) .

بنت أبى زرع ، وما بنت أبى زرع ؟ طوع أبيها ، وطوع أمها وملء كسائها ، وعطف ردائها ، وزين أهلها ، وغيظ جارتها (٣) .

جارية أبى زرع وما جارية أبى زرع ، لاتبث حديثنا تبثيثا ، ولاتنقث ميرتنا تنقيثا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا (٤) .

خرج أبو زرع ، والأوطابُ تمخض فمر بامرأة معها ابنان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقنى ونكحها، فنكحت بعده (٥) رجلا سريا ،

---

(١) العكوم جمع عكم وهو العدل أى الحقيبة ورداح : ثقيلة ، وانما وصفها بالثقل لكثرة ما فيها من المتاع والثياب . (٢) ومسل شطبة : السعفة الخضراء المسلولة ، وقيل السيف أرادت أنه مهفهف ، والجفرة من أولاد المعز : ما بلغت أربعة أشهر . مدحته بقلة الأكل . (٣) وعطف ردائها ملء عطف ردائها والجارة: الضرة . (٤) تبثه : تنشره ، ولا تنقث أى ولا تنقل ، والميرة :الطعام، تصفها بالأمانة . وتعشيشا أى لا تملأ بيتنا بالقمامة . (٥) الوطب : القربة ، وتمخض أى ليخرج زبدها ، والفهد – حيوان من السباع ، والسري – الشريف والشرى – الفرس المجد أو الجيد ، والخطى – الرمح وأراح على نعما ثريا – أعطانيها ، وأعطانى من كل رائحة زوجا أى أى مما يروح عليه من أصناف المال اعطاني نصيبا وصنفا ، والنعم – الأبل والبقر والغنم ، وميرى – أى أطعمى والله أعلم .

ركب شريا وأخذ خطيا ، وأراح على نعما ثريا وأعطانى من كل رائحة زوجاً فقال : كلى أم زرع ، وميرى أهلك ، فلو جمعت كل شىء أعطانيه ما ملأ أصغر إناء من آنية أبى زرع .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا عائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع الا أن أبا زرع طلق وأنا لا أطلق [١]،رواه موقوفا الا قوله كنت لك كأبى زرع فرفعه ، قالوا : وهو يؤيد رفع الحديث كله . اتحاف الأنام فى خطب رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم للخطيب ص ٢٢٥ عن منتخب الصحيحين للنبهانى .

٣٨ - قصة سيدنا ابراهيم وسارة والجبار

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـه وسلم لم يكذب ابراهيم النبى عـليه السلام قط الا ثلاث كذبات [٢] ثنتين فى ذات الله [٣] قوله إنى

---

(١) وقد أجابت عن ذلك جواب مثلها فى فضلها ونبلها فقالت : يا رسول الله بل أنت خير من أبى زرع ، كماعند النسائى والطبرانى . وبعد ففى هذا الحديث ثروة من اللغة والبلاغة والأدب والاجتماع خليقة بالحفظ والدرس ومن فوائده :- (١) التحدث عن الأمم الخوالى ، وضرب الأمثال بهم ، وذكر المرء بما فيه من عيب إذا لم يكن حاضرا ، ولم يعرفه أحد من الحاضرين ، ولا يعد ذلك غيبة ومنها اعلام المرء زوجه بمحبته لها مالم يفض ذلك الى مفسدة ، ومنها جواز التكلم بالغريب واستعمال السجع مالم يكن متكلفا ، ومنها فضل الصديقة رضى الله عنها ، وحسبك ما فيه من حسن المعاشرة مع الأهل ، وهى ترجمة البخارى ، وقد أفرد بالتاليف ووفاه حقه صاحب فتح البارى أ هـ شرح صفوة صحيح البخارى . (٢) اطلق عليه الكذب تجوزا لأنه على صورته وإلا فهو من باب المعاريض المحتملة لأمرين لمقصد دينى وهى فسحة ووقاية من الكذب كما فى الخبر إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب فلا يستدل به على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . (٣) لأجله تعالى وحده .

سقيم (١) وقوله - بل فعله كبيرهم (٢) هذا وواحدة فى شأن سارة .

فإنه قدم أرض جبار ، ومعه سارة وكانت أحسن الناس ، فقال لها - ان هذا الجبار . إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك اختى ، فإنك اختى فى الإسلام ، فإنى لا أعلم فى الأرض مسلما غيرى وغيرك (٣) ، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار ، أتاه ، فقال له - لقد قدم أرضك امرأة لاينبغى أن تكون إلا لك ، فأرسل اليها فأتى بها فقام ابراهيم عليه السلام إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها ادعى الله أن يطلق يدى ، ولا أضرك ففعلت . فعاد فقبضت أشد من القبضة الأولى. فقال لها مثل ذلك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأوليين فقال لها - ادعى الله ان يطلق يدى فلك الله (٤) أن لا أضرك ، ففعلت وأطلقت يده ، ودعا الذى جاء بها فقال له - إنك إنما أتيتنى بشيطان ، ولم تأتنى بإنسان فأخرجها من أرضى وأعطها هاجر قال فأقبلت تمشى فلما رآها ابراهيم عليه

---

(١) قال ذلك لما طلبه قومه ليذهب معهم الى عيدهم ، وأراد أن سيسقم فإن كل إنسان لابد يسقم ولو قبل الموت ، أو سقم قلبه من كفرهم بالله تعالى . (٢) قاله تبكيتا لقومه وتعريضا بهم لأن الفعل إذا دار بين عاجز عنه ، وقادر عليه ، واثبت للعاجز تهكما -انحصر فى القادر . ولم ينف عن نفسه الفعل حتى يكون كذبا . بل نسبه الى كبير الأصنام تهكما بشرط نطقهم ، وقد أدركوا قصده فهموا بإحراقه أو نسبه اليه مجازا من اسناد الفعل الى سببه . (٣) قال الله تعالى إنما المؤمنون أخوة ، المسلم أخو المسلم ، ولعله أراد ارتكاب اخف الضررين دفعا لأعظمهما لأن اغتصاب الجبار إياها واقع لامحالة ولو علم أنها متزوجة حملته غيرته على قتل زوجها كما هى عادته ، وإذا علم أنها اخته خطبها منه ثم يفكر ابراهيم فى حيلة تخلصها منه . (٤) فلك الله بنصب اسم الجلالة وهو قسم ، والأصل اقسم بالله أن لا أضرك .

السلام انصرف ، فقال لها – مهيم (١) ؟ قالت – كف الله يد الفاجر وأخدم خادما قال أبو هريرة – فتلك أمكم يا بنى ماء السماء . رواه البخارى ومسلم .

---

(١) مهيم كلمة يمانية معناها ما شأنك أو ما، هذا وسارة امرأة ابراهيم عليه السلام : هى ابنة هاران ملك حران تزوجها ابراهيم لما هاجر من بلاد قومه الى حران وكانت أحسن الناس كما فى هذا الحديث . وأرض الجبار هى مصر أو الأردن ، واسم الجبار صدوق وقوله فتلك أمكم يا بنى ماء السماء : قال الحافظ : خاطب العرب بذلك لكثرة ملازمتهم الفلوات التى بها مواقع القطر ، وقيل الخطاب للأنصار، والمراد بماء السماء عامر والد عمرو بن عامر بن مزيقيا وهو جد الأوس والخزرج .

ويؤخذ منه أولا – إباحة المعاريض جمع معراض مأخوذ من التعريض خلاف التصريح ومنه ان فى معاريض الكلام مندوحة عن الكذب ، والمندوحه : السعة . ثانيا – قبول هدية المشرك ، ولو ظالما لأن ذلك الملك الذى أهدى هاجر لإبراهيم وقبلها منه مشرك ظالم . ثالثا – ان الله قد ينتقم من المعتدين حالا كما حصل للملك من شلل يده ثلاث مرات حين مدها اليها ، رابعا – أن الله قد يستجيب للصالحين فورا كما استجاب لسارة ثلاث مرات فأطلق يد الملك . خامسا – أن الله يبتلى الصالحين لرفع درجاتهم كما ابتلى سارة وابراهيم بهذا الجبار وغيره من البلاء ، وفى الحديث أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . قال الحافظ ابن حجر : ويقال : إن الله كشف لإبراهيم حتى رأى حال الملك مع سارة معاينة ، وانه لم يصل منها الى شىء ذكر ذلك فى التيجان : ولفظه : فأمر بإدخال ابراهيم وسارة عليه ثم نحى ابراهيم الى خارج القصر وقام الى سارة فجعل الله القصر لابراهيم كالقارورة الصافية يراهما ويسمع كلامهما . أ هـ عبد الله الصديق . السادس : ينبغى للإنسان أن يفزع للصلاة عند الحوادث فقد فزع لها ابراهيم ، وكان يفزع لها نبينا عليه الصلاة والسلام وقلت فى الكافية الكبرى :

إن الصَّلاةَ بِهَا الصِّلاتُ عَمِيمَةٌ ... وَبِها يكونُ مِنَ الصِّلاءِ نَجَاكَا
وإذا بُليتَ مِنَ الزَّمانِ بِشِدَّةٍ ... فَافْزَعْ لَهَا تَفْزَعْ بِها بَلْواكَا
هِىَ قُرَّةُ الْعينَيْنِ ، جَالِبَةُ الرِّضَا ... هِىَ فِى الْخُطُوبِ الحالِكَاتِ ضِيَاكَا
وَعِمَادُ دِينِ اللهِ بابُ فُتُوحِهِ ... وَطَرِيقُ جَنَّتِه ، وَسِرُّ مُنَاكَا
وَأَجَلُّ مَا يُدْنِيكَ مِنْ مَوْلاَكَا ... وَيَحُطُّ عَنْكَ وَلَوْ يَجِمُّ خَطَاكَا =

٣٩ - قصة الملكين اللذين تركا ملكهما خشية الله

عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن بنى اسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى صلى الله عليه وسلم فقام يصلى ذات ليلة فوق بيت المقدس . فى القمر . فذكر أمورا كان صنعها فخرج فتدلى بسبب فأصبح السبب معلقا فى المسجد ، وقد ذهب قال : فانطلق حتى أتى قوما على شط البحر فوجدهم يضربون لبنا (١) ، أو يصنعون لبنا ، فسألهم كيف تأخذون على هذا اللبن ، و قال فأخبروه فلبن (٢) معهم فكان يأكل من عمل يده ، فإذا كان حين الصلاة قام يصلى فرفع ذلك العمال الى دهقانهم (٣) أن فينا رجلا يفعل كذا وكذا فأرسل اليه فأبى أن يأتيه ثلاث مرات ثم إنه جاء يسير على دابته فلما رآه فر فاتبعه فسبقه فقال : انتظرنى اكلمك فقام حتى كلمه فأخبره خبره ، فلما أخبره أنه كان ملكا وأنه فر من رهبة ربه قال : إننى لأظننى لاحقا بك ، قال فاتبعه

= هِىَ طُهْرَةٌ ، وَمَصَحَّةٌ وَسَمَاحَةٌ ... وَرِيَاضَةٌ وَوَجَاهَةٌ وَبَهَاكَا
رَيْحَانُ أَرْوَاحٍ ، مَنَابِعُ فِكْرَةٍ ... إِشْرَاقُ أَنْوَارٍ ، ضِيَاءُ نُهَاكَا
تَدْعُو إِلَى خَيْرِ الْخِلَالِ ، وَإِنَّهَا ... لَعَنِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا تَنْهَاكَا
فَوْقَ السَّمَاءِ بِلَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ قَدْ ... فُرِضَتْ فَكَانَ بِهَا سُمُوُّ سُرَاكَا
فَاسْكُنْ بِهَا قَلْباً ، وَسَكِّنْ قَالِباً ... فِيهَا تُنَاجِى خَيْرَ مَنْ نَاجَاكَا
وَاطْرَحْ بِهَا غَيْراً ، وَقُلْ مُتَبَتِّلاً ... إِيَّاكَ نَعْبُدُ رَبَّنَا إِيَّاكَا
أَنْتَ الْمُعِينُ ، وَنَرْتَجِيكَ مَعُونَةً ... فِيمَا نَحُوزُ بِهِ كَرِيمَ رِضَاكَا

الصلات : العطايا ، والصلاء : النار وبليت : اصبت ، وافزع لها : الجأ اليها وتفزع بها : تذهب ، والحالكات : المظلمات ، وقالبا : جسما ومتبتلا : منقطعا الى ربك . (١) الطوب النىء واحدته لبنة . (٢) بتشديد الباء . صنع اللبن . (٣) الدهقان بكسر الدال أو ضمها كبير القرية ولذا سمى ملكا فى الرواية الآتية .

فعبدا الله حتى ماتا برميلة [١] مصر،قال عبد الله:لو أنى كنت ثم لاهتديت الى قبريهما بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى وصف لنا، رواه البزار والطبرانى فى الكبير والأوسط، واسناده حسن . ورواه الإمام أحمد وابو يعلى ، ولفظ روايتهما :-

بينما رجل فيمن كان قبلكم - كان فى ملكه فتفكر فعلم أن ذلك منقطع عنه . وأنه قد شغله عن عبادة ربه عز وجل فتسرب فانساب ذات ليلة من قصره فأصبح فى مملكة غيره فأتى ساحل البحر فكان به يضرب اللبن بالأجر ويأكل ويتصدق بالفضل فلم يزل كذلك حتى رقى أمره الى ملكهم وعبادته وفضله فأرسل إليه مليكهم أن يأتى فأبى ثم أعاد عليه فأبى أن يأتيه وقال : مالى وماله ؟ قال فركب الملك فلما رآه ولى هاريا فلما رأى ذلك الملك ركض فى أثره فلم يدركه قال فناداه : يا عبد الله إنه ليس عليك منى بأس فاقام حتى أدركه ، فقال : من أنت رحمك الله ؟ قال أنا فلان صاحب ملك كذا وكذا ، تفكرت فى أمرى فعلمت أن ما أنا فيه منقطع ، وأنه قد شغلنى عن عبادة ربى فتركته ،وجئت ههنا أعبد الله عز وجل . قال : ما أنت بأحوج الى ما صنعت منى . قال : ثم نزل عن دابته وسيبها فتبعه فكانا جميعا يعبدان الله عز وجل فدعوا الله أن يميتهما جميعا، قال عبد الله فلو كنت برميلة مصر لأريتكم قبورهما بالنعت الذى نعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) بضم الراء وفتح الميم : موضع. ويستفاد من هذه القصة : فضيلة الاعتبار والتفكر وأنه يؤدى الى أحسن الغايات وأطيب الثمرات فإنه ادى الملكين الى هجر الفانية رغبة فى الباقية .(ما عندكم ينفد وما عند الله باق) ويستفاد ان الأكل من كسب اليد مطلوب وأنه لاينافى الزهد وإنما ينافيه التوسع فى ملاذ الدنيا من المطعم والمشرب والملبس والمركب مما تركه هذان الملكان وقد روى البخارى فى صحيحه عن المقدام رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أكل أحد طعاما قط =

٤٠ - قصته صلى الله عليه وسلم وجبريل وميكائيل

عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : كان صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة الصبح أقبل علينا بوجهه فقال - من رأى منكم الليلة رؤيا . فإن رأى

= خيرا من أن يأكل بعمل يده ، وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده . أ هـ ووجه الخيرية ما فيه من ايصال النفع الى الكاسب والى غيره والسلامة من البطالة المؤدية الى الفضول وكسر النفس به والتعفف عن ذل السؤال وخص المصطفى صلى الله عليه وسلم : داود لأن عمله الدروع لم يكن لحاجة ولكنه اختار الأكل من الطريق الأفضل ولهذا أورده فى مقام الاحتجاج على أن خير الكسب عمل اليد ، وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يأكل من كسبه من غنائم الكفار بالجهاد وهو اشرف المكاسب على الإطلاق لما فيه من إعلاء كلمة الله ، وخذلان كلمة الكفر والنفع الأخروى وروى المستدرك ان داود كان زرادا ، وكان آدم حراثا وكان نوح نجارا وكان موسى راعيا وفى ذلك دليل على أن الأكتساب لاينافى التوكل ، وقلت فى نقاية التصوف :

وَلا يُنَافِى الْكَسْبُ لِلتَّوَكُّلِ ... فَجِدَّ وَارْضَ قِسْمَةَ الْمُوَكِّلِ
وَلا يُنافِى خَزْنُ قُوتِ السَّنَةِ ... تَوَكُّلاً كَمَا أَتَى فِى السُّنَّةِ
وَخَيْرُ مَا تُرْزَقُهُ الْكَفَافُ ... فَاقْنَعْ بِهِ فَحَبَّذَا الْعَفَافُ

وقلت فى الكافية الكبرى :

ما المالُ إلاَّ مكسب الأشرافِ إنْ ... وُفِّقْتَ فِيهِ إِلَى رِضَا مَوْلاكَا
حَصِّلْ بِهِ الدَّارَيْنِ واكْسِبْ سُؤْدَدًا ... وَارْغَبْ لِرَبِّكَ أَنْ يُدِيمَ هُدَاكَا
وَلْتَرْضَ بِالْكَسْبِ الْحَلالِ فَإِنَّهُ ... فَرْضٌ ولا يَشْغَلْكَ عَنْ عُقْبَاكَا
فَازْرَعْ وَتَاجِرْ وَاعْمَلَنَّ أَوِ اصْطَنِعْ ... وَإِذَا أَبَيْتَ فَأَنْتَ مَا أَرْدَاكَا
واذكر سُؤَالَكَ عَنْهُ كَيْفَ كَسَبْتَهُ ... وَعَلامَ قَدْ أَنْفَقْتَهُ فَعَسَاكَا
وَيَدُ الَّذِى يُعْطِى هِىَ الْعُلْيَا فَلا ... تَسْفُلْ بِأَخْذِ ما استطعتَ يَدَاكَا
وَلَبَيْعُكَ الأَحْطَابَ قد جَمَّعْتَهَا ... مِنْ أَجْبُلٍ خَيْرٌ مِنَ اسْتِجْدَاكَا
وَعَلَى التَّكَسُّبِ حَثَّ طَهَ صَحْبَهُ ... وَعَنِ السُّؤَالِ نَهَاهُمُ وَنَهَاكَا
إِيَّاكَ تَسْأَلُ يا حَكِيمُ لِغَيْرِهِ ... مِنْ فَضْلِهِ إِيَّاكَهُ إِيَّاكَا =

أحد قصها فيقول – ما شاء . قال فسألنا يوما هل رأى أحد منكم رؤيا فقلنا – لا . قال لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة . فإذا رجل جالس ، ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك (١) ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله . قلت من هذا ؟ قال انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ، ورجل على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ به رأسه فإذا ضربه تدهده الحجر (٢) فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع الى هذا حتى يلتئم رأسه ، وعاد رأسه كما هو فعاد اليه فضربه قلت : من هذا ؟ قالا انطلق بنا فانطلقنا الى ثقب مثل التنور . أعلاه ضيق ، وأسفله واسع يتوقد تحته نارا فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها ، وفيها رجال ونساء عراة (٣) فقلت:من هذا؟ فقالا انطلق بنا فانطلقنا حتى اتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى وسط النهر (٤) رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج

=فمضى ولم يسألْ وكم أَعْطَى لَهُ ... عُمَرُ الْعَطَاءَ فقال خَلِّ عطاكَا

واللهُ لَيْسَ مباركًا فِي نَائِلٍ ... مَا طَابَ قَلْباً فيه مَنْ أَعْطَاكَا

وَلَخَيْرُ أَكْلِكَ عند ربِّكَ مَالَهُ ... عَمِلَتْ لِتُرْضِيَ ربَّها كَفَّاكَا

وَأَجَلُّ خَلْقِ اللهِ قَبَّلَ كَفَّهُ ... مَجَلَتْ وقال يُحِبُّها مَوْلَاكَا

مجلت يده من باب نصر وعلم مجلا ومجولا ومجلا:نفطت من العمل فمرنت وقيل:المجل : أن يكون بين الجلد واللحم ماء من كثرة العمل .(١) الكلوب:حديدة مقوسة الرأس ،والشدق بالكسر–جانب الفم من باطن الخد. (٢) الفهر:الحجر ملء الكف وقيل مطلقا،والشدخ–كسر الشىء الأجوف، وتدهده تدحرج. (٣) قال فى هداية البارى–فى الرواية حذف وتقديم وتأخير كما يعلم ذلك من رواية المصنف فى التعبير والتقدير فاطلعنا عليها فإذا فيها رجال ونساء عراة فإذا اقترب منهم لهيبها ارتفعوا حتى كاد خروجهم يتحقق فإذا خمدت رجعوا . (٤) فى رواية،وعلى شط النهر رجل،وهى أوضح .

رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان . فقلت : ما هذا ؟ قالا انطلق بنا فانطلقنا حتى اتينا الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة ، وفى أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بى فى الشجرة وأدخلانى دارا لم أرقط أحسن منها فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان . ثم أخرجانى منها فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب . قلت طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت قالا : نعم . أما الذى يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق . فيصنع به الى يوم القيامة (١) .

والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به الى يوم القيامة (٢) .

والذى رأيته فى الثقب فهم الزناة . (٣) والذى رأيته فى النهر آكلوا الربا (٤)

---

(١) إنما استحق هذا العذاب الأليم لما ينشأ من كذبته من المضار وهو فيها مختار. (٢) لأنه أعرض عن العمل بأفضل الأشياء فعوقب فى أفضل الأعضاء . (٣) تقدم لك أنهم فى النار عراة لأنهم لما انتهكوا حرمات الله وحرم عباده عوقبوا بهتك أستارهم مع عذابهم . (٤) المراد بأكله تناوله بأى وجه من الوجوه . وعبر به لأنه أعظم مقصوده والقمت أفواههم الحجارة لأنها موضع التعاقد . وروى مسلم وغيره : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : هم سواء وروى أحمدبسند صحيح والطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال: درهم ربايأكله الرجل وهويعلم أشد من ستة وثلاثين زنية وروى أبو يعلى بإسناد جيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ، ما ظهر فى قوم الزنا والربا الا أحلوا بأنفسهم عذاب الله ا هـ. الزواجر حـ١ ص١٨٤ وقلت فى الكافية الكبرى =

= وَمِنَ الرِّبَا بِاللهِ رَبِّكَ فَاسْتَعِذْ ... كَسْبٌ خَبِيثٌ فَاطَّرِحْهُ وَرَاكَا

مَا حَارَبَ الْجَبَّارُ إِلاَّ أَهْلَهُ ... وَلِمَنْ لَهُ قَدْ حَارَبَ النُّسَّاكَا

لُعِنَ الرِّبَا وَالآكِلُوهُ وَمُوكِلٌ ... وَالشَّاهِدَانِ وَكَاتِبُونَ صِكَاكَا

وَكَذَاكَ مَنْ قَوَّى عَلَيْهِ وَكُلُّهُمْ ... شُرَكَاءُ فِي إِغْضَابِهِمْ مَوْلاَكَا

مَهْمَا رَبَا مَالُ الرِّبَا فَارْقُبْ لَهُ ... مَحْقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَنَلْهُ يَدَاكَا

وَارْقُبْ خَرَابَ بُيُوتِ مَنْ أَكَلُوا لَهُ ... وَارْقُبْ هَلاَ كَهُمُو هُنَا وَهُنَاكَا

مَا خَالَطَ الْمَالُ الْحَرَامُ مُحَلَّلاً ... إِلاَّ بِهِ أَوْدَى وَمَنْ سَوَّاكَا

وقلتُ في بشرى العاشقين ببلوغ سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم :

إِنَّ الْيَهُودَ وَقَانَا اللهُ شَرَّهُمُو ... فِي اللُّؤْمِ قَدْ بَلَغُوا الأَقْصَى مِنَ الرَّقَمِ

كَمِ اسْتَطَالُوا عَلَى مَنْ أُرْسِلُوا سَفَهاً ... وَقَتَّلُوهُمْ وَكَمْ آذَوْا لِرَبِّهِمِ

بِالْمُصْطَفَى اسْتَفْتَحُوا مِنْ قَبْلِ مَبْعَثِهِ ... وَبَعْدَهُ جَحَدُوا الْمَعْرُوفَ كَأَبِيهِمِ

الْعِجْلَ قَدْ عَبَدُوا وَالزُّورَ قَدْ شَهِدُوا ... وَاللهَ قَدْ جَحَدُوا خَاسُوا بِعَهْدِهِمِ

سَنُّوا الرِّبَا حَسَّنُوهُ أَظْهَرُوهُ بِهِ ... أَغْرَوْا بِمُخْتَلِفِ الأَشْكَالِ وَالنُّظُمِ

كَسْبُ اللِّئَامِ وَجَلاَّبُ الْخِصَامِ وَمَدْ ... عَاةُ اللِّطَامِ وَقَضَّاءٌ عَلَى اللُّحَمِ

وَمَا الْحَيَاةُ سِوَى حُبٍّ فَإِنْ قُضِيَتْ ... عُرَاهُ مِنْهَا غَدَتْ سَوْدَاءَ كَالْحُمَمِ

ضِدُّ الْفُتُوَّةِ بَتَّاتُ الْمُرُوَّةِ ... قَطَّاعُ الأُخُوَّةِ دَفَّاعٌ إِلَى الْجُشَمِ

قَاضٍ عَلَى الْعَوْنِ وَالدُّنْيَا مُعَاوَنَةٌ ... إِنْ لَمْ تَكُنْ كَانَتِ الأَحْوَالُ فِي فَقَمِ

فَكَمْ بُيُوتٍ عَوَالٍ رَيْثَمَا دَخَلُوا ... وَعَامَلُوا أَهْلَهَا انْقَضَّتْ مِنَ الدِّعَمِ

مَنْ خَالَ أَنَّ الرِّبَا يَرْبُو الثَّرَاءُ بِهِ ... غِرٌّ تَخَيَّلَ أَنَّ الشَّحْمَ فِي وَرَمِ

تَرَاهُ يَرْبُو وَلَكِنْ فِي نِهَايَتِهِ ... بِالْمَالِ يَفْتِكُ فَتْكَ اللَّيْثِ بِالْغَنَمِ

مَا حَارَبَ اللهَ غَيْرُ اثْنَيْنِ رَبُّ رِباً ... وَمَنْ لأَحْبَابِهِ آذَى وَلَمْ يَجِمِ

تَاللهِ لَوْ مَلَكُوا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ... مَا غَادَرَ الذُّلُّ مِنْهُمْ مَوْضِعَ الشَّمَمِ

وَالذُّلُّ حَيْثُ تَرَى الأَطْمَاعَ جَاثِمَةً ... وَالْعِزُّ حَيْثُ الرِّضَا بِالْحَظِّ وَالْقِسَمِ

يَلِينُ حَتَّى إِذَا عَضَّ الْفَرِيسَةَ لَمْ ... يَنْزِعْ عَنِ الْعَضِّ إِلاَّ وَهْيَ فِي الرَّجَمِ =

والشيخ فى أصل الشجرة ابراهيم عليه السلام (١) والصبيان حوله فأولاد الناس ، والذى يوقد النار مالك خازن النار : والدار الأولى التى دخلت دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار فدار الشهداء (٢) وانا جبريل ، وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسى فإذا فوقى مثل السحاب ، قالا : ذلك منزلك . قلت : دعانى ادخل منزلى . قالا إنه بقى لك عمر لم تستكمله ، فلو استكملته أتيت منزلك ، رواه البخارى .

٤١ - قصة ابراهيم وهاجر وسارة واسمعيل عليهم السلام

عن ابن عباس رضى الله عنهما : أول ما اتخذ النساء المنطق (٣) من قبل ام اسمعيل (٣) اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة (٤) ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت (٥) عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد (٦) وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ، ووضع

= تراه كالحَمل الهادِي مُخَادَعَةً ... وَإنْ تَمكَّنَ كَانَ الفَحْلَ ذَا القَطَمِ

كَالسَّلِّ هلْ أبْصَرَتْ عَيْنَاكَ مِنْ أحَدٍ ... وَمَاهُ سُلٌّ فَأضْحَى مِنْهُ فِى سَلَمِ

الجشم : الثقل والفقم : الأضطراب ، والرجم : القبر ، والقطم : الهياج . (١) لأنه أبو المسلمين (هو سماكم المسلمين من قبل) . (٢) لايلزم منه أن تكون منزلته دون الشهداء لاحتمال أنه هناك بسبب كفالة الولدان ، ودرجته فى الجنة أعلى من الشهداء بلا ريب قال تعالى : ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، الآية والعطف على سبيل التدلى ، والله المسئول حسن الختام بحرمة النبى عليه الصلاة والسلام . (٣) المنطق : شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها فترسل الأعلى على الأسفل ، والأسفل ينجر على الأرض . (٤) لأنها كانت أمة لسارة فوهبتها للخليل عليه السلام فحملت منه بإسمعيل فلما وضعته داخل قلبها ما يداخل النساء من الغيرة فتوعدتها بما يوجب الرهب فاتخذت هاجر منطقا وهربت وجرت ذيلها لتخفى أثرها . (٥) أى عند موضع البيت الحرام قبل أن يرفع قواعده عليه السلام. (٦) الدوحة: ماعظمت من الشجر والمراد بأعلى المسجد مكانه لأنه لم يكن اذ ذاك بناء .

عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل فقالت : يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنس ولاشىء فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لايلتفت اليها ، فقالت له الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم قالت إذا لايضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنية [١] حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه ، فقال : ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع [٢] عند بيتك المحرم ، حتى بلغ يشكرون .

وجعلت ام اسماعيل ترضع اسمعيل ، وتشرب من ذلك الماء حتى إذانفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى [٣] أو قال يتلبط . فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها [٤] ثم سعت سعى الإنسان المجهود [٥] حتى جاوزت الوادى ، ثم أتت المروة فقامت عليها ، ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات ، قال ابن عباس : قال النبى صلى الله عليه وسلم . فلذلك سعى الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت : صه تريد

---

(١) الثنية ما كانت فى الجبل كالعقبة فيه. (٢) لايصلح للزرع والمقصود اظهار كون ذلك الإسكان مع فقدان مباديه لمحض الالتجاء لجواره الكريم ، والتقرب اليه عز وجل ويدل على الأول قوله عند بيتك المحرم أى المحرم التعرض له والتهاون به . ويدل على الثانى (ربنا ليقيموا الصلاة) وخصها لكمال العناية بها (فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم) أى تسرع شوقا (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) يعبدونك حق عبادتك ، وقد استجاب دعاءه فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنه (٣) يتلوى : ينعطف بعضه على بعض ويتلبط بمعنى يتقلب ، ذلك لما الم به من ألم الأوار وشدة العطش . (٤) قميصها حتى لاتتعثر فى ذيله . (٥) المجهود : المتعب .

نفسها[١] . ثم تسمعت فسمعت[٢] أيضا فقالت: قدأسمعت ان كان عندك غواث [٣] فإذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه ، و تقول هكذا [٤] و جعلت تغرف من الماء فى سقائها، و هو يفور بعد ما تغرف . قال النبى صلى الله عليه وسلم : يرحم الله ام إسمعيل . لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عينا معينا [٥] قال فشربت وأرضعت ولدها . فقال لها الملك : لاتخافوا الضيعة ، فإن ههنا بيت الله يبنى هذا الغلام و أبوه ، و أن الله لا يضيع أهله ، و كان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه و شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جُرهم [٦] أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء [٧] . فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً [٨] فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى . وما فيه ماء فأرسلوا جرياً أو جريين [٩] فاذاهم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا . قال : و ام اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك فقالت نعم. ولكن لا حق لكم فى الماء ، قالوا نعم قال النبى صلى الله عليه وسلم : فألفى ذلك ام اسمعيل ، و هى تحب الأنس [١٠] فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ،

---

(١) أشرفت : علت ، وصه : اسكتى . (٢) تسمعت : تكلفت السماع . (٣) الغواث : بتثليث الغين الغوث والنجدة ، والجزاء محذوف لشدة الأهتمام أى فأغثنى. (٤) هذا حكاية عن فعلها وإطلاق القول على الفعل شائع فى الأستعمال . (٥) أى لكان ماؤها جاريا على وجه الأرض لكن لما دخله التحويض والتحويط داخله كسب البشر فقصر عن ذلك . (٦) أى فكانت هاجر تشرب و ترضع ابنها حتى مر بهم أولئك القوم و هم حي من اليمن . (٧) كداء : أعلى مكة . (٨) الطائر العائف : المتردد على الماء الحائم حوله غير الحائل عنه . (٩) الجرى : الرسول . (١٠) وجد ذلك البيت الجرهمى ام اسمعيل .

وشبَّ الغلامُ و تعلم العربية منهم (١) وأنفسهم (٢) و أعجبهم حين شب فلما أدرك الحلم زوجوه امرأة منهم ، و ماتت أم اسمعيل . فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل يطالع تركته (٣) فلم يجد اسمعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا (٤) . ثم سألها عن عيشهم و هيئتهم فقالت : نحن بشر . نحن فى ضيق وشدة، فشكت إليه، قال فإذا جاء زوجك فأقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه (٥) فلما جاء اسمعيل كأنه آنس شيئاً (٦) فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت نعم . جاءنا شيخ كذا و كذا فسألنا عنك فأخبرته و سألنى كيف عيشنا فاخبرته أنا فى جهد وشدة . قال فهل أوصاك بشئ قالت نعم أمرنى أن اقرأ عليك السلام ، ويقول لك غير عتبة بابك ، قال ذاك أبى ، و قد أمرنى أن أفارقك الحقى بأهلك فطلقها ، وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله . ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغى لنا، قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم ، فقالت نحن بخير و سعة و أثنت على الله.فقال:ما طعامكم ؟ قالت اللحم . قال : فما شرابكم قالت الماء . قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء.قال النبى صلى الله عليه وسلم:و لم يكن لهم يومئذ حبٌ ولو كان لهم دعا لهم فيه، قال فهما لايخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه (٧) قال:فإذا جاء زوجك

---

(١) بأن لسان أبيه و أمه غير عربي ، وهو وإن تعلمها من جرهم إلا أنه بزهم فيها ، ولا ينافي الحديث الحسن . أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة اسمعيل لأن الأولية فيه بحسب زيادة البيان لا الأولية المطلقة . (٢) أعجبهم فعطفه عليه مرادف له . (٣) ينظر شأن من تركهما هناك . (٤) يطلب لنا الرزق . روى أنه كان عيشه الصيد . (٥) عتبة بابك : امرأتك لمشاركتها لها في صلاح المنزل وصونها متاعه عن الضياع . (٦) أبصر شيأ لم يعهده . (٧) أى لا يقتصر عليهما أحد بغير مكة إلا ضعفت صحته ، و هذا أثر دعاء إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

فأقرئى عليه السلام ، ومُريه يثبت عتبة بابه فلما جاء إسمعيل ، قال هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسألنى عنك فأخبرته فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشئ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ، و يأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال ذاك أبى ، و أنت العتبة ، أمرنى أن أمسكك ، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك و اسمعيل يبرى نبلاً له [١] تحت دوحة قريباً من زمزم . فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ثم قال يا إسمعيل إن الله أمرنى بأمر قال فاصنع ما أمرك ربك . قال : وتعينني قال : و أعينك قال فإن الله أمرنى أن أبنى ههنا بيتاً ، و أشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها [٢] قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت [٣] فجعل اسمعيل يأتى بالحجارة ، و ابراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر [٤] فوضعه له فقام عليه و هو يبني و اسمعيل يناوله الحجارة و هما يقولان : ربَّنا تقبل منا [٥] إنك أنت السميع العليم [٦] رواه البخارى - هداية البارى جـ ١ ص ١٧٣ - ١٧٨ .

---

(١) النبل: السهام و أحدها سهم و نشابة . (٢) الأكمة: التل من الحجارة . (٣) القواعد : الأسس ورفعها اعلاء البناء عليها . فإنه ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع . (٤) حجر: المقام . (٥) التقبل : مجاز عن الإثابة و الرضا لأن كل عمل يقبله تعالى يثيب عليه صاحبه ، و يرضاه منه أو المراد الثاني دون الأول لأن غاية ما يقصده المخلصون من الخدم رضا المخدوم بما يقع منهم ، و هذا هو الأنسب بمقام الخليل و اسمعيل عليهما السلام . (٦) تعليل الاستدعاء التقبل أى السميع للدعاء . العليم بالسرائر ، و الله الموفق .

٤٢ - قصة الإسراء و المعراج (١)

قال الله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا إنه هو السميع البصير سورة الإسراء الآيه رقم (١) .

عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا عند البيت بين النائم و اليقظان (٢) وذكر بين الرجلين (٣) فأتيت بطشت من ذهب ملأى حكمة و إيماناً . فشق من النحر إلي مراق البطن ثم غسل البطنُ

---

(١) قال فى المواهب : قد ورد حديث الاسراء عن ستة و عشرين صحابياً ، و قد أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة الملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون وفى شرحى على عقيدتى عقيدة الخطيب عند قولى :

وَ اجْزِمْ بِمِعْرَاجِ الرسولِ الْأَكْرَمِ مُسْتَيْقِظاً بجسمه الْمُكَرَّمِ

واعتقد معراج النبى صلى الله عليه وسلم بعد اسرائه مستيقظاً بجسمه . و الاسراءُ: هو سير النبى صلى الله عليه وسلم من مسجد مكة إلى المسجد الأقصى فى القدس فى ليلة و هذا ثابت بنص القرآن الكريم ويكفر مُنْكِرُهُ . و المعراجُ : هو صعوده تلك الليلة من المسجد الأقصى إلى السموات واجتماعه بالملأ الأعلى تشريفاً لهم به و إكراماً له . و قد ثبت بالأحاديث الصحيحة ويفسق منكره وهذا أمر ممكن أخبر به الصادق فيجب حمله علي ظاهره ، و لا يستغرب ممن سير الطير فى الهواء ، وجعل الكراكب تقطع في دقيقة مسافة لا يقطعها الناس فى مائة عام - أن يرفع إلى السماء حبيبه الذى اصطفاه على الأنام قال الله تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . و قال صلى الله عليه وسلم : أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى اتيت البيت المقدس- إلى أن قال ثم عرج بنا إلى السماء . الحديث رواه مسلم . (٢) لم يغلب عليه أحدهما . (٣) عمه حمزة ، وابن عمه : جعفر رضى الله عنهما.

بماء زمزم، ثم ملئ حكمة و إيماناً (١) و اتيت بدابة أبيض دون البغل و فوق الحمار . البراق . (٢) فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا . قيل : من هذا ؟ قال جبريل: قيل من معك ؟ قال محمد . قيل : وقد أرسل إليه . قال نعم . قيل : مرحباً به ولنعم المجئ جاء . فأتيت على آدم فسلمت عليه . فقال مرحباً بك من ابن ونبى (٣) . وفى رواية فلما علونا السماء الدنيا . فإذا رجل عن يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة (٤) فإذا نظر قِبل يمينه ضحك ، و إذا نظر قِبل شماله بكى . فقال : مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح . قلت : من هذا يا جبريل . قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة .

---

(١) الفاعل لهذا جبريل وميكائيل و اسرافيل وهذه المرة الرابعة لشق صدره صلى الله عليه وسلم وثلاث قبلها عند حليمة السعدية وعند البلوغ وعند البعثة ، و هذا لزيادة التطهير وملئه بالحكمة والإيمان أى بأسبابهما . و الحكمة فى ذلك الشق مع القدرة على غايته بدونه الزيادة فى قوة اليقين لأنه أعطى برؤيته ذلك مأمن به جميع المخاوف العادية. ولذا كان أثبت الناس جأشاً أى قلباً . (٢) ركوبة الأنبياء قبله و له جناحان فى جنبيه ويضع حافره عند منتهى طرفه إذا انحدر طالت يداه ، وإذا صعد طالت رجلاه ليكون ظهره مستوياً دائماً فركبه صلى الله عليه وسلم وسار معه جبريل وميكائيل حتى وصلوا بيت المقدس فنزل و وجد الأنبياء فى انتظاره فصلى بهم ركعتين إماماً إشارة لفضله صلى الله عليه وسلم . قال ابن كثير فى تفسيره : والصحيح أنه اجتمع بهم فى السموات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانياً وهم معه وصلي بهم فيه ثم ركب وكر راجعاً إلى مكة والله أعلم . (٣) بعد صلاته مع الأنبياء نصب له المعراج وهو سلم درجات بعد السموات فما استقر علي درجة رفعته للأخرى أسرع من طرفة عين . (٤) أسودة : ناس كثير – جمع سواد والنسم جمع نسمة وهى الروح فالأرواح السعيدة عن يمين آدم يفرح إذا نظرها ، و الشقية عن يساره يحزنه مرآها . ولا إشكال فى رؤية الأنبياء فى السماء مع استقرار أجسامهم في قبورهم بالأرض لأنه إما أحضرت أجسامهم لملاقاته تلك الليلة تكريماً له . أو تشكلت أرواحهم بصور أجسامهم لأن الأرواح في غاية اللطافة قادرة على التشكل كما يشعر به ما وقع للروح الأمين .

والتى عن شماله أهل النار. فإذا نظر قبل يمينه ضحك. وإذا نظر قبل شماله بكى. فأتينا السماء الثانية، قيل من هذا؟ قال جبريل قيل من معك قال محمد. قيل ارسل إليه قال نعم . قيل مرحباً به و لنعم المجئ جاء . فأتيت على عيسى ويحيى فقالا مرحباً بك من أخ و نبى . فأتينا السماء الثالثة قيل من هذا قيل جبريل . قيل من معك؟ قيل محمد. قيل وقد ارسل إليه . قال نعم . قيل مرحباً به ولنعم المجئ جاء . فأتيت على يوسف [١] فسلمت عليه ، فقال مرحباً بك من أخ ونبى فأتينا السماء الرابعة قيل من هذا قيل جبريل ، قيل من معك ؟ قيل محمد. قيل و قد أرسل إليه قيل نعم . قيل مرحباً به و لنعم المجئ جاء . فأتيت علي إدريس فسلمت عليه ، فقال مرحباً بك من أخ ونبى . فأتينا السماء الخامسة قيل من هذا قيل جبريل . قيل و من معك ؟ قيل محمد . قيل وقد ارسل إليه قال نعم : قيل مرحباً به و لنعم المجئ جاء . فأتينا على هرون فسلمت عليه . فقال مرحباً بك من أخ و نبى. فأتينا السماء السادسة قيل من هذا ؟ قيل جبريل قيل من معك قيل محمد قيل وقد أرسل إليه مرحباً به ولنعم المجئ جاء. فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال مرحباً بك من أخ و نبى . فلما جاوزته بكى [٢] فقيل : ما أبكاك قال : يا رب هذا الغلام [٣]

---

(١) وفى رواية (فإذا هو قد أعطى شطر الحسن و صلى الله عليه و على نبينا وسلم و حشرنا معهم أمين . (٢) لم يكن بكاء موسى عليه السلام حسداً لنبينا صلى الله عليه وسلم فإن الحسد فى ذلك العالم منزوع من آحاد المسلمين فكيف بالكليم . بل أسفاً علي ما فاته من الأجر المستلزم رفع الدرجة . بسبب ما وقع من امته من كثرة المخالفة المستوجبة نقص أجرهم المستلزم نقص أجره إذ كل نبى له مثل أجر أمته . (٣) قوله الغلام ليس فيه تحقير للنبى عليه الصلاة و السلام بل على عادة العرب إذ يطلقونه على من به شىء من القوة . وفيه إشارة إلي عظم قدره حيث أعطى مع صغر سنه ما لم يعطه غيره مع كبره .

الذى بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي. فأتينا السماء السابعة قيل من هذا؟ قيل جبريل، قيل من معك؟ قيل محمد قيل وقدأرسل إليه مرحباً به ولنعم المجئ جاء ، فأتيت على ابراهيم فسلمت عليه ، فقال مرحباً بك من ابن و نبى ، فرُفِعَ لى البيت المعمور [١] فسألت جبريل . فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم .

ورفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وو رقها كأنه آذان الفيول [٢] ، فى أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان . و نهران ظاهران . فسألت جبريل فقال : أما الباطنان ففى الجنة ، و أما الظاهران فالنيل و الفرات [٣] . (النيل بأرض مصر و الفرات بأرض العراق)

وفى رواية ثم عُرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ثم فرضت على خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى فقال:ماصنعت؟ قلت فرضت على خمسون صلاة،قال أناأعلم بالناس منك.عالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة.[٤]

---

(١) بكثرة الملائكة أى كشف لى عنه فرأيته واضحاً وهو بيت فى السماء السابعة تحجه ملائكتها ، وفى كل سماء بيت معمور أيضاً يحجونه أولها فى السماء الدنيا المسمى بيت العزة وآخرها فى السابعة البيت المعمور وكلها بحذاء الكعبة التى يحجها أهل الأرض : و ما يعلم جنود ربك إلا هو .

(٢) ظاهره أنها شجرة نبق حقيقة والنبات فى العادة يحتاج إلى التراب و الماء والهواء . ولا يبعد على الله أن يخلقه فى أى مكان وسميت بذلك لأنها ينتهى إليها علم كل عالم و لا يعلم ما وراءها إلا الله .

(٣) ظاهره يرشد إلى أصل هذين النهرين ، و ظاهر القرآن يقويه قال تعالى : (ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) و غيرها من الآيات المشعرة بأن مادتهما سماوية . وكون الماء يخرج من أصل السدرة ثم يسير حيث يشاء الله ثم يسلكه ينابيع فى الأرض حتى يخرج منها ثم يسير فى مجاريه مع ما يخالطه من الأمطار لاينكره عقل ولا يمنعه شرع بل تدل عليه الآية والحديث. (٤) اختبرتهم ومارستهم أشد الممارسة فرأيت عدم طاقتهم فكيف أمتك .

و ان امتك لاتطيق فارجع الى ربك [١] فسله التخفيف فرجعت فسألته فجعلها اربعين ثم مثله ثم ثلاثين ثم مثله فجعل عشرين ثم مثله فجعل عشرا فأتيت موسى فقال مثله فجعلها خمسا فأتيت موسى فقال : ماصنعت قلت جعلها خمسا ، فقال مثله ، قلت : سلمت بخير فنودى أنى قد أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى ، وأجزى الحسنة عشرا [٢] رواه البخارى فى بدء الخلق ومسلم فى الإيمان ، وعبارته . فلم أزل أرجع بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد: انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : لقد رأيتنى فى الحجر ، وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط فرفعه الله الى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء الا انبأتهم به . وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب [٣]

---

(١) الى الموضع الذى ناجاك منه تعالى الله عن المكان علوا كبيرا ، وقد اعتنى موسى بنا فى شأن الصلاة عناية نسأل الله أن يجازيه عليها إنه على كل شى قدير . (٢) لى ولأمتى . وفى رواية أن التخفيف كان خمسا خمسا واعتمدها الحافظ ابن حجر وجعل حمل غيرها عليها كالمتعين . - هذا مما يستدل به على أن التكليم ليلة الإسراء كان بغير واسطة والله أعلم. (٣) الضرب : الخفيف اللحم المشوق المستدق . والجعد: الخفيف الشعر . الرد على منكر الإسراء والمعراج : قال الخطيب فى شرح عقيدته : انما انكر اسراءه الملحدون لشبه واهية . منها ان الجسم ثقيل فلا يقطع هذه المسافة بتلك السرعة ، وما علموا أن الإسراء كان على البراق الذي يضع حافره عند منتهى بصره القوى ولاتعوقه جبال ولا غيرها فيقطع المسافات البعيدة دون لمح البصر . ومنها ان الأجسام الكثيفة لايعقل أن ترتفع إلى السماء بدون آلة لجذب الأرض إياها ومنها أن بين السماء والأرض طباقا لاتلائم الحياة فلو بلغها أى إنسان لاختنق أو احترق . أما علموا أن الأنبياء وان كانت أجسامهم بشرية الا أن =

= أرواحهم ملكية فتتغلب على أجسامهم فيصعدون كما تصعد الملائكة دون ضرر وقد صعد إدريس وعيسى عليهما السلام على ان الحامل للنبى صلى الله عليه وسلم المعراج . وناهيك بسرعته والداعى الله وما أعظم قدرته ومعه جبريل عليه السلام وما أتم قوته على ان المخترعات الحديثة كالطائرات بانواعها والمذياع الذى ينقل الأصوات من أقصى الجهات فى أيسر زمن قربت فهم الاسراء والمعراج لمن يجحدون إن كانوا يفقهون . والمعتمد أن الإسراء والمعراج كانا بجسمه الشريف بدليل انها لو كانت رؤيا لما تعجبت منها قريش ولا استحالتها . ولما قال الكفار يزعم محمد انه أتى بيت المقدس ، ورجع الى مكة فى ليلته والعير تطرد اليها شهرا مقبلة ، وشهرا مدبرة ، وذلك ان النائم يرى أنه فى السماء وفى المشرق والمغرب ولا يستبعد احد منه ذلك أ هـ شرح روضات الخطيب للمؤلف ، وقال ابن كثير : الأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظه لامناما ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناما ثم رآه بعد يقظة لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) فالتسبيح انما يكون عند الأمور العظام فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظما ولما بادرت كفار قريش الى تكذيبه ، ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم وأيضا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال (أسرى بعبده ليلا) وقال تعالى (مازاغ البصر وما طغى) والبصر من آلات الذات لا الروح وأيضا فإنه حمل على البراق والحمل للجسد لا للروح لأنها لاتحتاج الى مركب فى حركتها . أ هـ بتصرف قال السيوطى : وقيل كان الإسراء والمعراج بروحه لقوله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) ولما روى ابن اسحق فى السيرة ان معاوية كان يقول إذا سئل عن الإسراء كانت رؤيا من الله عز وجل صادقة ، وان عائشة قالت : ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسرى بروحه ، واجيب عن الآية بأن قوله تعالى (فتنة للناس) يؤيد أنها رؤية عين إذ ليس فى الحلم فتنة ، ولا يُكذب به أحد .

وقد صح ان ابن عباس كان يقول : هى رؤيا عين أريها . وقيل : ان الآية نزلت فى غير قصة الإسراء . وعن قول عائشة بانها لم تكن حينئذ زوجة إذ الإسراء قبل الهجرة وإنما بنى بها بعدها ، وقيل كان الإسراء يقظة ، والمعراج مناما . وقيل كان مرتين مرة يقظة ومرة مناما . وروى كعب ان المعراج مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وروى ابن سعد أنه مُرصَّع باللؤلؤ . وقلت فى روضات الخطيب فى مدح الحبيب صلى الله عليه وسلم :

جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفى ، وإذا ابراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم ، فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل يا محمد : هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت اليه فبد أنى بالسلام رواه مسلم فى كتاب الإيمان نسأل الله ان يرزقنا الإيمان الكامل آمين .

سُبحانَ مَنْ أسرَى بِهِ مِن مكةٍ ... ليلاً إلى الأقصَى الحَرام العَادِى
فَوْقَ الْبُراقِ ، وَكَانَ مِنْ خُدَّامِه ... جبْرِيلُ خَيْرُ مَلائِكِ الْجوَادِ
وَرأى الْعَجائِبَ فِي الطَّرِيقِ كَثِيرَةً ... تَسْمُو على الْأوْصَافِ والتَّعْدَادِ
وهناك أمَّ الأنبياءَ إمَامُهُمْ ... أَعْظِمْ بِمَنْ يتلو وَنِعْمَ الْبَادِى
لابِدْعَ أنْ جُمِعُوا وأَنْ صَلَّوا فَهُمْ ... أحْيَاءُ رَغْمَ مُعانِدٍ وَمُعَادِى
يَا مُنْكِرًا إسراءه مُسْتَبْعِداً ... يُعْدًا لمبْعِدِ غَيْرِ ذِى اسْتِبْعَادِ
واللّهِ لو عاشَرْتَ مَنْ أرواحُهُمْ ... غَلَبَتْ لَقُلْتَ الْأَمْرُ أَمْرٌ عَادِى
يا أيها الْمسْرَى بِهِ فَوْقَ الْعُلَا ... أنت المعَدُّ لِمثْلِ ذاكَ الْوَادِ (١)
إنْ كان هذا الْأُفْقُ مَظْهَرَ شَمْسِهِ ... فَالْعَرْشُ مَطْلَعُهُ عليْهِ بَادِى
تَبًّا لِمُنْكِرِ أنَّ أَعْظَمِ خَلْقِهِ ... أسْرىَ وَجَابَ السَّبْعَ بِالْمِصْعَادِ
وَرَأى إلَهَ الْخَلْقِ جَلَّ جَلَالُهُ ... وَالْعَيْنُ مَا زَاغَتْ صَحِيحَ فُؤَادِ
لو يعلمونَ الرّوحَ ، ما أسْرَارُهَا ... ما حُكْمُهَا فِي عَالَمِ الْأَجْسَادِ
علموا بأنَّ الْجِسْمَ يُشْبِهُ رِيشَةً ... والرُّوحَ ريحًا جُمِّعَا فِي وَادِ
الرُّوحُ جبْرِيلُ لِخِدْمَةِ مَنْ شَأَى ... كُلَّ الْوَرَى رُوحًا على اسْتِعْدَادِ
واللّهُ يَطْلُبُهُ فَإنَّ غُلِبَا فَهل ... مَوْلَاكَ يَغْلِبُهُ نَفَاذُ مُرَادِ

(١) هذا البيت والذى بعده رأيتهما فى النوم وأنا أنظم هذه القصيدة ولعل الله يسهل ما فى النية من تأليف كتاب جامع فى الإسراء والمعراج إنه المستعان وعليه التكلان .

٤٣ - قصة ابراهيم عليه السلام ، وآزر يوم القيامة

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يلقى إبراهيم اباه آزر [١] يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة ، وغبرة [٢] فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لاتعصنى ؟ فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك ، فيقول ابراهيم : يارب إنك وعدتنى ان لاتخزينى يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد [٣] ؟ فيقول الله عز وجل : إنى حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال له : يا ابراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ [٤] متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار رواه البخارى .

٤٤ - قصة العابد الذى أحبط عمله بكلمة واحدة

عن جندب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن رجلا قال : والله لايغفر الله لفلان . فقال الله عز وجل من ذا الذى يتألى على أنى لا أغفر لفلان . قد غفرت له واحبطت عملك [٥] أو كما قال . وفى رواية - لايستر الله على

---

(١) قال فى هداية البارى: الذى عول عليه الجم الغفير من أهل السنة ان آزر لم يكن والدا لابراهيم عليه السلام لأنه لم يكن فى آبائه صلى الله عليه وسلم كافر أصلا . لقوله صلى الله عليه وسلم : لم أزل انقل فى أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات ، والمشركون نجس - وانما هو اسم لعمه ، والعرب يطلقون الأب على العم ، واسم ابيه الحقيقى باتفاق النسابين تارخ كآدم . (٢) يشير الى قوله تعالى (وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة) و القترة السواد والظلمة ، والغبرة : الكدورة . (٣) أى الأبعد من رحمتك ، وعبر بذلك لأن الفاسق بعيد والكافر أبعد منه . (٤) الذيخ : ذكر الضباع ، واراد بالتلطخ التلوث باقذاره والحكمة فى مسخه ضبعاً ان الضبع أحمق الحيوانات . فلما خالف نصيحة أخلص الناس له ، واتبع إغواء الشيطان ، مسخ كأحمق حيوان . (٥) انظر يا من شهوته الكلام : كيف أوبقت هذه الكلمة من ذلك العابد دنياه وآخرته والرجلان من بنى اسرائيل كما فى مسند أحمد وسنن =

عبد فى الدنيا إلا ستره يوم القيامة . رواه مسلم هذا إن تاب ، والا فأمره الى الله ان شاء عاقبه ، وان شاء عفا عنه وروى الترمذى بسند حسن عن النبى صلى الله عليه وسلم : كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله عز وجل .

٤٥ - قصة المنقذات من المهلكات (١)

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى صفة فى المدينة فقام علينا فقال : إنى رأيت البارحة عجبا . رأيت رجلا من أمتى (٢) أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه . (٣)

ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك (٤) ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته الشياطين (٥) فجاء ذكر الله عز وجل فطرد الشياطين عنه .

= أبى داود عن أبى هريرة وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم : إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لايلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات . وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم ، وفى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث بلال المزنى : ان احدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه ، وان احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه ، فكان علقمة يقول : كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث . (١) هذا الحديث كثير الفوائد يحث على أعمال صالحة تنجى من المصائب الفادحة المذكورة إن صحبها الإخلاص . (٢) أمة الإجابة وكذا ما بعده . (٣) عن قبض روحه فيكون بره سببا لزيادة العمر بالنسبة للوح أو الصحف فهو فى العمر المعلق . (٣) قال المناوى يحتمل الحقيقة بأن يجسد الله ثواب الوضوء ويحتمل أن يضاف الى الملك الموكل بكتابة ثوابه واستنقذه استخلصه منهم . (٤) احتوشته احاطت به من كل جهة والشياطين : مردة الجن . وذكر الله أى ثواب ذكره الله فى الدنيا .

ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب [١] فجاء ته صلاته فاستنقذته من أيديهم . ورأيت رجلا من أمتى يلتهب عطشا كلما دنا من حوض منع منه وطرد فجاءه صيامه شهر رمضان فأسقاه وأرواه .ورأيت رجلا من أمتى.ورأيت النبيين حلقا حلقا .[٢] كلما دنا الى حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فاقعده الى جنبى .ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة. وعن شماله ظلمة وعن يمينه ظلمة، ومن فوقه ظلمة وهو متحير فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور ورأيت رجلا من أمتى يتقى بيده ووجهه [٣] وهج النار وشررها فجاء ته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظلا على رأسه . ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاء ته صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين انه كان وصولا لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصار فيهم .

ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله فى ملائكه الرحمة .

ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل [٤] .

ورأيت رجلا من أمتى قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه . ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه

---

(١) احاطت به زبانية جهنم من كل جهة . (٢) بكسرتين او بكسر ففتح جمع حلقة : دوائر دوائر .

(٣) رواية السيوطى يتقى وهج النار بيديه عن وجهه اى يجعل يديه وقاية لوجهه من حر النار وظلا : وقاية من حر الشمس . (٤) وذلك لان سوء الخلق يظلم القلب ويمنع الوصول الى الله تعالى وحسن الخلق يجلوه ويوصل الى الله بكثرة الطاعات والكف عن الشهوات .

فجاءه أفراطه [١] فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم [٢] فجاءه وجله [٣] من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك .

ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد [٤] كما ترعد السعفة فى ريح عاصفة فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن روعته ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى يزحف [٥] على الصراط ويحبو أحيانا ، ويتعلق أحيانا . فجاءته صلاته على فأنقذته ، وأقامته على قدميه [٦] .

ورأيت رجلا من أمتى انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الأبواب فجاءته شهادة ان لا إله إلا الله [٧] ففتحت له أبواب الجنة وأدخلته الجنة أ هـ .

ذكر جماعة من الحفاظ ان لوائح الصحة ظاهرة عليه وان القلب يركن الى متنه ، وفيه بشارة عظيمة للأمة المحمدية الكريمة اتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام . للمؤلف ٢٨٣ .

(١) اولاده الصغار الميتون قبله ، (٢) على شفير جهنم : حرفها ، (٣) خوفه ، (٤) يضطرب ، (٥) يمشى على مقعدته ويحبو يمشى على يديه ورجليه ، (٦) رواية السيوطى فجاءته صلاته على فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى جاز : أى مر ومضى الى الجنة. (٧) وان محمدا رسول الله فاكتفى بأحد الشقين عن الآخر لكونه معروفا بينهم

٤٦ - قصة بائع الخمر والقرد (١)

روى البيهقى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتشوبوا اللبن للبيع : ألا وإن رجلا ممن كان قبلكم جلب خمرا الى قرية فشابها بالماء فأضعفه إضعافا فاشترى قردا فركب فى البحر حتى إذا لج فيه الهم الله القرد صرة الدنانير فأخذها وصعد الدقل وفتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فأخذ دينارا فرمى به فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمها نصفين . وفى رواية أخرى له قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان رجلا كان فيمن قبلكم حمل خمرا ثم جعل

---

(١) هذه القصة قال الحافظ المنذرى : لا أعلم فى رواتها مجروحا . واقول : انها تنذر بضرر الغش ، وأن ما يكتسب بطريقه ممحوق البركة فى الدنيا فضلا عن اليم العذاب فى الآخرة . روى مسلم وابن ماجه والترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فادخل يده فيها فنالت أصابعه بللا . فقال ما هذا يا صاحب الطعام ، قال أصابته السماء أى المطر يا رسول الله ، قال : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا ، وفى رواية لأبى داود ليس منا من غش ، وقال أبو هريرة لمن خلط اللبن بالماء كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن . وقال واثلة بن الأسقع سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل لأحد أن يبيع شيئا الا بين ما فيه ولا يحل لمن علم ذلك الا بينه : رواه الحاكم وصححه والبيهقى وعن واثلة أيضا أنه قال : من باع عيبا لم يبينه لم يزل فى مقت الله أو لم تزل الملائكة تلعنه وروى الطبرانى - من لايهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمس ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم . وروى الشيخان وغيرهما : لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وفى رواية صحيحة لايبلغ العبد حقيقه الايمان حتى يحب للناس مايحب لنفسه قال الإمام ابن حجر الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أو مشتر عيبا فيها لو اطلع عليه مريدا أخذها ما أخذها بذلك المقابل فيجب عليه أن يعلمه ليدخل فى أخذه على بصيرة . ثم قال يجب على اجنبى علم بالسلعة عيبا ان يخبر به مريد أخذها وان لم يسأله عنها . كما يجب عليه إذا رأى إنسانا يخطب امرأة ويعلم بها أو به عيبا أو رأى إنسانا يريد أن يخالط اخر لمعاملة أو صداقة أو غيرهما أن يخبره به وان لم يستشر اداء للنصيحة المتأكد وجوبها لخاصة المسلمين وعامتهم. أهـ الزواجر .

فى كل زق نصفه ماء ثم باعه فلما جمع الثمن جاء ثعلب فأخذ الكيس وصعد الدقل فجعل يأخذ دينارا ويرمى به فى السفينة ، ويأخذا دينارا فيرمى به فى الماء حتى فرغ ما فى الكيس ، ولا تنافى بين هذه والتى قبلها لاحتمال تعدد القصة، والدقل : خشبة طويلة يشد عليها شراع السفينة الزواجر لابن حجر جـ ١ ص ١٩٢ .

٤٧ – قصة العابد وخطيئته وصدقته

قال صلى الله عليه وسلم: تعبد عابد من بنى اسرائيل فعبد الله فى صومعته ستين عاما فأمطرت الأرض فاخضرت فأشرف الراهب من صومعته.فقال لو نزلت فذكرت الله فازددت خيرا فنزل ومعه رغيف أو رغيفان فبينما هو فى الأرض لقيته امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها[1]ثم أغمى عليه[2]فنزل الغدير ليستحم

---

(١) جامعها . (٢) من خشية الله تعالى ويؤخذ من هذه القصة شؤم الزنا وعظم فعله حيث رجحت سيئة المرة منه على حسنات العبادة ستين عاما . وان الصدقة ولو يسيرة قد يغفر الله بسببها كما غفر لهذا الزانى بصدقة الرغيف . روى الإمام أحمد بسند رواته ثقات أنه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه : ما تقولون فى الزنا قالوا حرام حرمه الله ورسوله . فهو حرام الى يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه : لان يزنى الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره ، وقال صلى الله عليه وسلم لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن رواه الشيخان قال الإمام ابن حجر : من ثمرات الزنا أن يورد النار والعذاب الشديد.وأنه يورث الفقر ، وأنه يؤخذ بمثله من ذرية الزانى ولما سمع بهذا بعض الملوك اراد تجربته بنفسه وكانت له بنت غاية فى الجمال فأنزلها مع امرأة فقيرة فى المدينة وأمرها أن لاتمنع نفسها مما يراد منها فكلما مرت على احد أطرق استحياء حتى كادت تبلغ اباها وهى راجعة امسكها رجل وقبلها . فلما قصت ما حصل لأبيها قال الحمد لله وخر ساجدا لله تعالى وقال : ما وقع منى الا قبلة وقد قوصصت بها .

فجاء سائل فأوما اليه أن يأخذ الرغيفين،ثم مات فوزنت عبادة ستين سنه بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته ثم وضع الرغيف أو الرغيفان مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له رواه ابن حبان فى صحيحه الزواجر جـ٢ص ١١٣ .

٤٨ - قصة المتعبد والمرأة

عن ابن عمر رضى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا أم الخبائث فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة فأرسلت اليه خادما . إنا ندعوك لشهادة فدخل فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى إذا أفضى الى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية فيها خمر[1] فقالت إنا لم ندعك لشهادة ، ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام وتقع على أو تشرب كاسا من الخمر فإذا أبيت صحت بك وفضحتك فلما رأى انه لابد له من ذلك قال اسقينى كاسا من

---

(١) الخمر : المعتصر من العنب إذا غلى وقذف بالزبد ، ويطلق مجازا بل حقيقة على ما غلى وقذف بالزبد من غير العنب لحديث أبى داود نزل تحريم الخمر يوم نزل وهى من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر : ما خامر العقل . أ هـ قال الخطابى : وتخصيص الخمر بهذه الخمس لأنها كانت تؤخذ منها فى هذا الزمن : وكل ما أخذت منه كذلك . وروى الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى كل مسكر خمر وكل مسكر حرام وأبو داود كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، وفى الحديث ما أسكر كثيره فقليله حرام وروى أبو داود "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر ، والمفتر : مايورث الفتور والخدر فى الأعضاء ، وقال صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر رواه الطبرانى وروى ابن حبان فى صحيحه : من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن وروى الحاكم وصححه : من ترك الصلاة سكراً مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسابها ، ومن ترك الصلاة أربع مرات سكرا كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل =

الخمر فسقته فقال زيدينى فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس . فاجتنبوا الخمر فإنه والله لايجتمع إيمان وادمان الخمر فى صدر رجل أبدا ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه . رواه ابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، والبيهقى مرفوعا مثله . وموقوفا وذكر أنه المحفوظ . وقال صلى الله عليه وسلم : ألا إن شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وأكل ثمنها شركاء فى إثمها لايقبل الله منهم صلاة ولاصوما ولاحجا حتى يتوبوا فإن ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله ان يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم . ألا وإن كل مسكر خمر ألا وإن كل خمر حرام . إتحاف الأنام ص ٢٣٥ .

= وما طينة الخبال : قال عصارة أهل النار ، وروى أبو داود : من سقى صغيرا لايعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال ، وقال صلى الله عليه وسلم : أتانى جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها وقلت فى تشطير الخطيب النيدى للامية ابن الوردى :

وَاهْجُرِ الخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتىً ... إِنَّهَا مَجْمَعُ إِثْمٍ وَعِلَلْ
تُغْضِبُ اللّهَ وَلا تُبْقِى الحِجَى ... كيف يَسْعَى في جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ

وقُلْتُ :-

ولاتشْرَبِ الإِثْمَ التى جَمَّ إِثْمُهَا ... أَيَشْرَبُ ذو فِكْرٍ مُزِيلَةَ فِكْرِهْ
هِىَ الرِّجْسُ تنئى المرءَ عن كُلِّ طَيِّبٍ ... وتُدْنِيهِ مِنْ خُبْثٍ وتُودِى بِذِكْرِهْ

الإِثْمُ : الخمرُ ، والذِّكْرُ : الشَّرَفُ . وقلتُ فى الكافية الكُبْرَى :

والخَمْرَ دَعْهُ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ومِنْ ... عَمَلِ الرَّجِيمِ أَلَدِّ مَنْ عَادَاكَا
أُمُّ الخَبائِثِ كم لَهَا جَرَّتْ وَكَمْ ... جَرَّتْ عليْكَ الجالِبَاتِ رَدَاكَا
صَدَّتْكَ عَنْ ذكرِ الإِلَهِ وَخَوْفِهِ ... وَعَنِ الصَّلاةِ وَأَكْثَرَتْ أَعْدَاكَا
يا مَنْ حَسَا خَمْرًا يُرِيدُ دَوَاءَهُ ... أَقْصِرْ فَإِنَّ الخمرَ أعْظَمُ دَاكَا
كَمْ أَفْسَدَتْ كَبِدًا وَأَدَّتْ كُلْيَةً ... وَتَآكَلَتْ مِنْ نَارِهَا أَحْشَاكَا =

٤٩ - قصة المؤمن والكافر عند الموت وفى القبر

عن البراءبن عازب قال:خرجنامع النبى صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله ، وكأن على رءوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ، ثم قال : إن العبد المؤمن اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من

= كَمْ أَذْهَبَتْ مِنْ نَخْوَةٍ وَتَأَلَّمَتْ	إِذْ أَذْهَبَتْ لِلْبَاهِ مِنْكَ نِسَاكَا
كَمْ أَعْقَمَتْ كَمْ أَسْقَمَتْ كَمْ أَسْلَمَتْ	أَبْنَاكَ ظَالِمَةً لَهُمْ أَنْوَاكَا
كَمْ أَغْضَبَتْ رَبًّا وَأَفْنَتْ ثَرْوَةً	كَمْ هَزَأَتْكَ وَأَذْهَبَتْ لِنُهَاكَا
لاوَزْنَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِالنُّهَى	فَإِذَا فَقَدْتَ نُهَاكَ حَقَّ تُوَاكَا
وَلَقَدْ تُطَلِّقُ دُونَ وَعْيٍ زَوْجَةً	فَيَكُونُ أَبْنَاءَ الزِّنَا أَبْنَاكَا
وَإِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ لايَصْعَدْ لَهُ	وَإِذَا دَعَوْتَ فَلَا يُجِيبُ دُعَاكَا
وَلَقَدْ تَمُوتُ وَأَنْتَ غَيْرُ مُوَحِّدٍ	فَاحْذَرْ وَقَانَا اللَّهُ ثُمَّ وَقَاكَا
وَإِذَا لَهَا أَدْمَنْتَ كُنْتَ كَعَابِدٍ	وَثَنًا أَمَا تَخْشَى بِهِ الْإِشْرَاكَا
وَحُرِمْتَ خَمْرَةَ جَنَّةٍ وَسُقِيتَ مِنْ	طِينِ الْخَبَالِ عَصِيرِ أَهْلِ لَظَاكَا
كَمْ تَرْحَةٍ جَلَبَتْ وَكَمْ مِنْ فَرْحَةٍ	سَلَبَتْ وَكَمْ آذَتْ جَمِيعَ قُوَاكَا
لاتَدَّعِي جَلْبَ السرورِ بِهَا فَمَا	جَلَبَتْ عليكَ سِوَى الْهُمُومِ دَرَاكَا
لَاتَدَّعِي جَلْبَ السُّرورِ بِهَا فَمَا	خُيِّلْتَهُ إِلَّا لِفَقْدِ حِجَاكَا
وَإِذَا ادَّعَيْتَ وَكَانَ عَقْلُكَ ذَاهِبًا	فَالْمَيْنُ كُلُّ الْمَيْنِ فِي دَعْوَاكَا
بَزَّتْ حَصَاةَ حُسَاتِهَا فَتَخَيَّلُوا	بَزَّ الملوكِ الْمُلْكَ وَالْأَمْلَاكَا
وَأَتَوْا بِمَا يُبْكِي الْأَحِبَّةَ رَحْمَةً	وَيُعِيدُ رَبَّ عَدَاوَةٍ ضَحَّاكَا
لُعِنَتْ وعاصِرُهَا وَمَنْ عُصِرَتْ لَهُ	وَمَنِ اشْتَرَى أَوْ بَاعَهَا وَسَقَاكَا
والآكِلِينَ بِهَا وَشَارِبَهَا وَمَنْ	حُمِلَتْ إِلَيْهِ وَمَنْ بِهَا قَدْ جَاكَا

السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من اكفان الجنة وحنوط [١] من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر . ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء [٢] فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض .

قال فيصعدون بهافلا يمرون (يعنى بها) على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له ولهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهى به الى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه الى الأرض فإنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال : فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربى الله . فيقولان له: ما دينك فيقول : دينى الاسلام. فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له : وما علمك به ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة . قال فيأتيه من روحها وطيبها . ويفسح له فى قبره مد بصره .

---

(١) الحنوط و الحناط ما يخلط من الطين لأكفان الموتى و أجسامهم خاصة . (٢) من فى السقاء : فم القربة .

قال و يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى سرك يومك الذى كنت توعد . فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول:رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى.

قال:وان العبد الكافراذاكان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح (١) فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من الله وغضب قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود (٢) من الصوف المبلول بالماء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط (٣) فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين (٤) فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ، ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (٥) فتعاد روحه فى جسده و يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما هذا الرجل الى بعث فيكم فيقول : هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من

---

(١) المسوح . جمع مسح : ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفا وقهرا الجسد. (٢) السفودة حديدة يشوى عليها اللحم . (٣) سم الخياط : ثقب الإبرة . (٤) السجين : كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين . (٥) سحيق : بعيد .

السماء أن كذب فافرشوا له من النار ، و افتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، و يضيق عليه فى قبره حتي تختلف فيه أضلاعه ، و يأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب منتن الريح فيقول له : أبشر بالذى يسوء ك ، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول : من أنت فوجهك الوجه يجئ بالشر. فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول : رب لا تقم الساعة . إتحاف الأنام فى خطب رسول الإسلام للمؤلف نقلاً من مسند الإمام أحمد . جـ ٤ ص ٢٨٨ ، ٢٩٥ .

٥٠ – قصة شفاعته صلى الله عليه وسلم

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة (١) و هل تدرون مم ذلك ؟ يجـمع الله الأولين والآخـرين فى صعيدواحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر(٢) وتدنوالشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالايطيقون، ولايحتملون،فيقول الناس:ألا ترون ماقد بلغكم. ألاتنظرون من يشفع لكم إلى ربكم. فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم عليه السلام ، فيقولون له: أنت أبوالبشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه(٣)وأمرالملائكة فسجدوا لك (٤)

---

(١) يلزم من تخصيصه بسيادةالآخرةسيادته فى الدنيا وقال ذلك امتثالاً لقوله تعالى:(وأمابنعمة ربك فحدث)ولأنـه يحب أن يبين منـزلته حتى نعمل بمقتضـاهامن زائدالإجلال والتعظيم.(٢)يحيط بصر الرائى بجميعهم لاستواءالمكان وعدم الحجب.(٣)الإضافة إليه تعالى لتعظيم المضاف وتشريفه والمعنى أنه نفخ فيه روحاً خلقها بلا توسط أصل ولا مادة . (٤) يشير إلى قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) و السجود فى الأصل تذلل مع انخفاض بانحناء وغيره ، و فى عرف الشرع وضع الجبهة على الأرض بقصد العبادة . وفى المراد هنا خلاف فقيل المعنى الشرعى : و المسجود له الله تعالى ، و آدم قبلته ، و قيل المعنى اللغوى ، ولم يكن فيه وضع الجباه بل كان مجرد تذلل وانقياد . و الحكمة إظهار فضله أمام الملائكة الذين قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء) .

اشفع لناعند ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ماقد بلغنا فيقول أدم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله[١]ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى نفسي . اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح : إنك أول الرسل إلى أهل الأرض ، و قد سماك الله عبداً شكوراً [٢] اشفع لنا عند ربك . ألا ترى إلي ما نحن فيه فيقول إن ربى عز و جل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، و لن يغضب بعده مثله وانه قد كانت لى دعوة [٣] دعوتها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى . اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا عند ربك . ألا ترى الى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، و لن يغضب بعده مثله وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات [٤] . نفسى نفسى نفسي اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى .

---

(١) الغضب المعروف عند البشر محال فى حقه تعالى : و المراد لازمه و هو عقوبة من عصاه و كان ذلك قبل النبوة و سهوا . و صغيرة كما يرشد إليه قوله تعالى (فنسى و لم نجد له عزماً) و إنما عدّ نفسه من المقصرين المقترفين لأنه من المقربين . فالعصيان صورى فقط لأن المعصية ملابسة الكبيرة قصداً . وهذا ليس بكبيرة و القصد منتف . (٢) فى قوله (إنه كان عبداً شكوراً) . (٣) هى (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) أى أحداً يريد أنه له دعوة واحدة إجابتها محققة قد استوفاها . قال صلى الله عليه وسلم : (لكل نبى دعوة مستجابة) . (٤) فى الصورة لا فى الحقيقة لاستحالة الكذب و كل ما يحط عن مرتبة الكمال فى حق الأنبياء صلوات الله و تسليماته عليهم أجمعين ، و ذلك قوله (إنى سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) و قوله لسارة (هى أختي) هذه معاريض لكن لما كانت صورتها صورة كذب اسماها به و ليست به واشفق منها استقصاراً لنفسه عن مقام الشفاعة مع وقوعها . لأن من كان بالله أعرف و أقرب منزلة كان اعظم خوفاً و أشد خشية .

فيأتون موسى فيقولون : يا موسي أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس [١] اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله ، و إنى قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها [٢] نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى . اذهبوا إلى عيسى . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم و روح منه [٣] وكلمت الناس في المهد صبياً [٤] اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط ، و لن يغضب بعده مثله ، و لم يذكر ذنباً [٥] نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى . اذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً فيقولون يا محمد أنت رسول الله و خاتم الأنبياء ، و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى عز و جل ، ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى . ثم يقال يا

---

(١) عام مخصوص إذ كلم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج مع الرؤية . (٢) يشير إلى قوله تعالى (فوكزه موسى فقضى عليه) وإنما استعظمه واعتذر به لأنه لم يؤمر بقتل أهل الكفر، ووقوع ذلك لايقدح فى العصمة لكونه خطأ وعده فى الآية من عمل الشيطان وسماه ظلماً واستغفر منه على عادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى استعظام مافرط منهم من محقرات الصغائر . (٣) فيه معنى الآية (وكلمته ألقاها إلى مريم و روح منه) و سمى عليه السلام روحا لانه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام فى درع مريم بأمره جل شأنه ، و النفخ روح فى اللغة قال ذو الرمة فى نار: (وأحيها بروحك) والإضافة للتشريف . (٤) المهد : ما يمهد الصبى من مضجعه قال الله تعالى : فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً قال إنى عبد الله آتانى الكتاب (وجعلنى نبياً) الآيات . وفى رواية لأحمد و النسائى (و إنى اتخذت الهاً من دون الله). (٥) المراد بالذنب : ما فرط من خلاف الأولى .

محمد ارفع رأسك ، سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب ، أمتي يا رب [١] فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، و هم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . ثم قال والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة و حمير أو كما بين مكة و بصرى . رواه البخارى ، و المراد اتساع ما بين أبوابها . لا تقديره الدقيق .

*** و الله ولى التوفيق ***

---

(١) في الكلام حذف ، لأن الخلائق اجتمعوا و استشفعوا آدم ثم نوحاً ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى وكان خاتمة مطافهم خاتمتهم صلى الله عليه وسلم . و لو كان المراد هذه الأمة لما كان داع لذهابها إلى غير النبى صلى الله عليه وسلم . بل المراد الشفاعة لكل الأمم لفصل القضاء . و يدل على هذا رواية الإمام أحمد . بعد أن دلهم عيسى على النبى صلى الله عليه وسلم فيأتوني فيقولون : يا محمد اشفع لنا عند ربك فليقض بيننا فأقول أنا لها-حتى يأذن الله عز و جل لمن يشاء و يرضى . فإذا أراد الله تبارك و تعالى أن يصدع بين خلقه نادى مناد أين أحمد و أمته فنحن الآخرون الأولون ، نحن آخر الأمم و أول من يحاسب فتفرج لنا الأمم عن طريقنا . فنمضى غراً محجلين من أثر الطهور فتقول الأمم : كادت هذه الأمة أن تكون انبياء كلها فنأتى باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال من أنت فأقول أنامحمد فيفتح لى فأتى ربى عز و جل على كرسيه أو سريره (شك حماد) . أهـ و فى رواية للبخارى عن أنس فيأتون عيسى فيقول لست لها أهلاً و لكن عليكم بمحمد فيأتونى فأستأذن على ربى فيؤذن لى ويلهمنى محامد أحمده بها لا تحضرنى الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً فيقال يا محمد:ارفع رأسك ، و قل يسمع لك، و سل تعط واشفع تشفع فأقول : يا رب أمتى أمتى فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال شعيرة من إيمان . قال فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك و قل يسمع لك و سل تعط واشفع تشفع فأقول:يا رب أمتى أمتى فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه ادنى ذرة أو خردلة من إيمان فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يارب أمتى أمتى فيقال انطلق فأخرج من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل . و فى رواية

عنه ، ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك و قل يسمع لك و سل تعطه و اشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لى فيمن قال : لا إله إلا الله . فيقول و عزتى و جلالى و كبريائى و عظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله . أ هـ و الحمد لله رب العالمين . وقد أشرت إلى قصة الشفاعة فى روضات الخطيب فى مدح الحبيب صلي الله عليه وسلم فقلت :

و الهَولُ إذْ يَشتدُّ يوْمَ مَعَادِ ... سيانِ فيه مُصَادِقٌ وَ مُعَادِى

لجاءوا لآدمَ والْخليلِ وَرُوحِهِ ... عَلَّ النجا بِشَفَاعَةِ الْقُوَّادِ

فَجَمِيعُهُمْ نَفْسِي يَقُولُ : وَفَاتَهُ ... أَنَّ الإِلَهَ وَقَاهُ شَرَّ مَعَادِ

وَأَجَابَ إِذْ لَجَأُوا إلى خَيْرِ الْوَرَى ... أنىّ لها ، وَ بِهَا علي ميعَادِ

سَجَدَ النبىُّ مُنَاجِياً بِمَحَامِدٍ ... مَوْلاهُ لم تَخْطِرُ بِأَىِّ فُؤَادِ

إِشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَ اسْأَلَنْ تُعْطَ الذى ... ترجوهُ يا عَبْدِى و يا حَمَّادِ

ذاك المقامُ لَكَ ادَّخَرْتُ و لم يَكُنْ ... لِسِوَاكَ يا حِبِّىّ و خيْر عِبَادِ

وَ لَكُمْ لَكُمْ فى المذنبينَ شَفَاعَةٌ ... وكذاك للأبْنَاءِ و الأحْفَادِ

و النَّهْرُ و الحَوْضُ الذى أكوابُهُ ... مِثْلُ النُّجُومِ الزُّهْرِ فى الأَعْدَادِ

مَنْ تَسْقِهِ يا ذا النَّدَى جَازَ الصَّدَى ... وَجَمِيعُنَا للشُّرْبِ مِنْهُ صَوَادِى

وَلِوَاءُ حَمْدٍ كُلُّ حَمَّادٍ لَهُ ... فى ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَادِى

وَهُنَاكَ يُعْطِيكَ الذى تَرْضَى و هَلْ ... حَدٌّ لِمُعْطَى أَجْوَدِ الأَجْوَادِ

يَا واصِلاً لِلْقَاطِعِينَ وَمُعْطِياً ... للحارِمِينَ وَعَافِياً عَنْ عَادِ

يَا شَافِعاً فِي المذنبينَ شَفَاعَةً ... لاِبْنِ الْخَطِيبِ وَخِلِّهِ وَمُعَادِ

إِنْ جَاءَ غَيْرِى بِالصَّلاحِ وَسِيلَةً ... فَوَسِيلَتِي مَدْحِى لَكُمْ وَوِدَادِى

إِنِّىَ لِحُبِّكَ قَدْ دُعِيتُ مُحَمَّداً ... وَكَذَا دَعَوْتُ محمدًا أَوْلادِى (١)

فَلَنَا الأَمَانُ بِمَنْ نُسَمَّى بِاسْمِهِ ... فِي هذه الدُّنيا وَيَوْمَ تَنَادِ

و أشرتُ إليها أيضاً فى كتابى مجامع الأنوار فقلتُ :

وَإِذَا تَعَسَّرَ مَا نُرِيدُ فَإِنَّنَا ... بِمُحَمَّدٍ نَرجُو الإِلَهَ قَضَاهُ

أَوَ مَا تَشَفَّعَ آدمَ وَتَشَفَّعَتْ ... رُسُلُ الْكَرِيمِ بِهِ إِلَى مَوْلاهُ =

(١) محمدٌ مُصطَفى محمودُ أحمد لى ... نَسْلٌ و كلّهُمُ باسْمِ النبىّ سُمِى

وَتَشَفَّعَتِ كُلُّ الأَنَامِ بِهِ وَلَمْ … يَجِدُوا عَظِيمًا شَافِعًا إِلَّاهُ
مَا أَمَّلُوا مِنْ شَافِعٍ فِي مُرْسَلٍ … إِلَّا أَزَاحَ رَجَاءَهُمْ لِسِوَاهُ
حتى إذا جاءوا الشَّفِيعَ مُحَمَّدًا … حَمَلَ الذي نَاءُوا بِهِ وَأَتَاهُ
وَهَوَى، يناجى سَاجِدًا بِمَحَامِد … فَتَحَ الإِلَهُ بِهَا على سَوْدَاهُ
إِرْفَعْ وَسَلْ أُعْطِيكَ وَاشْفَعْ لِلْقَضَا … أَنْتَ المُشَفَّعُ وَالْجَلِيلُ عَطَاهُ
ذَاكَ المَقَامُ لَكَ ادَّخَرْتُ وَلَمْ يَكُنْ … لِسِوَاكَ يا عَبْدَ الَّذِي سَوَّاهُ
يارحمةً للعالمينَ فَهَا هُنَا … أَمِنُوا عَمِيمَ رَدىً وَلَوْ أَعْدَاهُ
وَهُنَاكَ قَدْ صَرَفَ الأَنَامَ لأَجْلِهِ … مِنْ سُوءِ زَحْمَتِهِمْ لِفَصْلِ قَضَاهُ
جَلَّ الذي أَوْلاهُ مَا أَوْلاهُ … وَبِمَدْحِهِ فِي كُتْبِهِ حَلَّاهُ
وَأَرَاهُ حَضْرَتَهُ العَزِيزَةَ يَقْظَةً … وَعَلَى مِنَصَّةِ عِزِّهِ جَلَّاهُ
وَبِعُمْرِهِ مَوْلاهُ أَقْسَمَ إِنَّهُ … عُمُرٌ لَدَى مَوْلاهُ مَا أَغْلاهُ
وَأَرَادَ رُؤْيَتَهُ الكَلِيمُ وَمُذْ بَدَا … لِلطَّوْدِ دُكَّ وَخَرَّ مِنْ أَعْلاهُ
مَا شَامَ خَلْقٌ خَالِقًا إِلَّاهُ … سُبْحَانَ مَوْلَى شَامَهُ مَوْلاهُ
بَدْرُ الوُجُودِ وَشَمْسُهُ وَنَهَارُهُ … وَنَعِيمُهُ وَسُرُورُهُ وَهَنَاهُ
وَحِيَاضُهُ ورياضُه وثمارُه … وعبيرُه بل قطبُه ورحاهُ

اللهُ يا اللهُ يا اللهُ … يابرُّ يا مَنْ لا إلهَ سِوَاهُ
يا حيُّ يا قيُّومُ يا منَّانُ يا … حنَّانُ يا رحمانُ يا اللهُ
يارَبِّ صَلِّ على النَّبِيِّ مُسَلِّمًا … وَمُبَارِكًا . وَكَذَاكَ مَنْ وَالاهُ
وَافْدِ الخَطِيبَ مُحَمَّدًا وَوَلِيَّهُ … وعَدُوَّهُ وَانْفَعْ بِمَا أَنْشَاهُ
وَارْحَمْهُ وَارْحَمْ وَالِدَيْهِ وَنَسْلَهُ … وَشُيُوخَهُ وَمَنِ انْتَحَى مَنْحَاهُ
وَاسْمَحْ لَهُ بِوِصَالِ أَحْمَدَ حِبِّهِ … وَاجْعَلْ لَهُ السَّبَبَ القَوِيَّ قُوَاهُ
وَعَلَى حَبِيبِكَ رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمَنْ … وَاجْعَلْ نِهَايَتَنَا الَّذِي تَرْضَاهُ



سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

شاعر النبى صلى الله عليه وسلم وخادم سنته الغراء

محمد خليل الخطيب

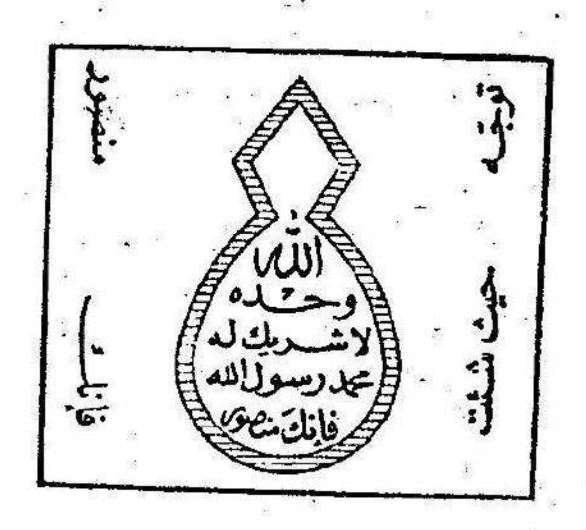
دعاء الفرج

عن جعفر بن محمد قال ، حدثني أبي عن أبيه عن جده ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أحزنه أمر ، دعا بهذا الدعاء ، اللهم احرسني بعينك التي لاتنام ، واكنفني بركنك الذي لايرام ، واحفظني بعزك الذي لايضام ، واكلأني في الليل وفي النهار وارحمني بقدرتك علي ، أنت ثقتي ورجائي فكم من نعمة أنعمت بها علي ، قل لك بها شكري ، وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري ، وكم خطيئة ركبتها فلم تفضحني ، فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ، ويا من قل عند بلائه صبري فلم يخذلني ، ويا من رآني على الخطايا فلم يعاقبني ، ياذا المعروف الذي لاينقضي أبدا ويا ذا الأيادي التي لاتحصى عددا ، ويا ذا الوجه الذي لايبلى أبدا ويا ذا النور الذي لايطفأ سرمدا ، أسالك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم ، وأن تكفيني شر كل شر ، بك أدرأ في نحره ، وأعوذ بك من شره ، وأستعينك عليه ، اللهم أعني على ديني بدنياي ، وعلى آخرتي بالتقوى ، واحفظني فيما غبت عنه ، ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرته يا من لاتضره

الذنوب ولاتنقصه المغفرة . اغفرلي ما لايضرك . وهب لي مالا ينقصك . يا إلهي أسألك فرجا قريبا . وصبرا جميلا . وأسألك العافية من كل بلية . وأسألك الشكر على العافية وأسألك دوام العافية . وأسألك الغنى عن الناس . ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم بك أستدفع مكروه ما أنا فيه . وأعوذ بك من شره يا أرحم الراحمين .

وهذا مثال خاتم النبوه

الذى كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم ومكتوب من الشعر بقلم القدرة



روى الحربى عن جابر : أردفنى النبى صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفى فكان ينم على مسكا

الشفاء : للقاضى عياض


فهرس الكتاب


تابع
فهرس الكتاب

محمد خليل الخطيب النيدي

راجعه

أحمد محمد سعيد
المدرس بالتربية والتعليم

رقم الإيداع / ٥٣٤٢ بتاريخ / ١٣/٥/١٩٩٦

مع تحيات

دار أبو الفضل للطباعة والتصوير والكمبيوتر وتجارة الورق
ومستلزمات الطباعة والتصوير بالمحلة الكبرى ☎ ٢٢٢٠٧٠ ، ٢٢٢٠٨٠

محمد خليل الخطيب النيدي

دار [illegible]
طباعة / تصوير / كمبيوتر
٩٥ ش [illegible]
المحلة الكبرى
ت/ ٣٤٤٠٧٠ - ٣٤٤٠٨٠

الصلاة المطلقة

يارب صل على الكمال المطلقِ بدء الخليقة بدرها المتألقِ
من شاهد الذات الكريمة وحده رب الهدى بحر الندى المتدفق
من منه مد الله سائر خلقه وأغاثهم يوم البلاء المطبق
يارب بلغنا النهاية من هوى خير البرية من به لك نرتقى
واقصر طريقتنا على منهاجه ولنا به فى بحر حبك أغرق
ولتعف عنا يا عفو بجاهه ولما به ترضى ويرضى وفق
وعلاك أشهدنا ونور جماله وأمدنا مدد الرجال السُبق
أرنا جنابك فى جنانك ربنا وجواره فى دار خلدك حقق
وعليه صل مباركاً ومسلماً وعلى صحابته وكل موفق

صلاة الرضوان

يارب صل على طه وشيعته مسلماً . وأنلنا منك رضوانا
واجعل خواتمنا خيرا وكلمتنا عند الممات بك اللهم إيمانا

صلاة النور

يارب صل على النبى مسلماً وأمدنا من نوره يا نور

صلاة التوفيق

يارب صل على النبى مسلماً واجعل لنا التوفيق دوماً صاحبا